سلسلة
الحياة الرهبانية
(٢)

القلاية
السكنى مع الله

إعداد
الراهب حنانيا السرياني

مراجعة وتقديم
الأنبا متاؤس
الأسقف العام

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقـــديم

نشر الأب الموقر الراهب حنانيا السريانى فى وقت سابق كتابا عن الزى الرهبانى نال إعجاب الجميع.

وها هو اليوم يقدم كتابا عن " قلاية الراهب " :

نشأتها - تطورها - أقسامها - محتوياتها .

ثم مفهومها الروحى من واقع خبرة الآباء وأقوالهم . . .

وكيف تكون القلاية فردوساً أرضيا يعيش فيها الراهب مع الله ، إذا عاش فيها بحكمة وإفراز وغرض مستقيم وجهاد روحى رهبانى صحيح تحت إرشاد أب روحى مختبر .

الكتاب بحث قيم رجع فيه الكاتب إلى مراجع عديدة عربية وأجنبية فجاء وافياً مفيداً مشبعاً .

نشكر الكاتب على مجهوده ، الرب يعوضه كل خير .

ونرجو أن يكون هذا الكتاب سبب بركة ومنفعة روحية لكل من يقرأه ليستفيد به .

بصلوات أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب الرهبان وكل أولاده لُباس الصليب وسكان البرارى .

وبصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث ، أب رهبان هذا الجيل .

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

الأنبا متاؤوس
الأسقف العام

فى البدء

القلاية للراهب هى اكتشاف النفس .. هى إدراك لأبعاد صحارى النفس البشرية .. هى مواجهة صريحة هادفة لتعرجاتها واهوائها العميقة .. هى محاولة للتحرر من نقل الخطية بالبعد عن مسبباتها .. هى الأختصار ، والأختصار عبادة .. هى الأساس والضمان .. هى بيت الفضيلة .. هى ملكوت الله الذى بداخلنا ، ويمتد أيضا فيحيط بنا .. هى الصخرة التي ، وبلا شك ، يقوم ويرتكز عليها بنيان وحياة وسعى كل راهب .

وفى القلاية ، نجد الراهب وهو الممارس - العامل - الناسك - المتوحد أو شريك المحبة فى مجمع الاخوة ، نجده يقضى حياته فى ممارسة روحية مستديمة وفى معركة متواصلة مع الشيطان ، لكى ما يصل إلى بوابة القلب حيث ينتظره المحبوب .. حيث الحرية .

+ إذا لم تصبح النفس سكرى بالأيمان بالله ، بفعل قوة احساسها ، فلن تستطيع أن تشفى الضعف الذى فى الحواس ولا أن تدوس بقوة المادة المنظورة التى تشكل حاجزا أمام أمورها الداخلية ، ولا أن تحس برأى سلطتها الذاتية ..

فثمر الأثنين - سكر النفس بالأيمان بالله وشفاء الحواس من الضعف - هو الحرية !

ماراسحق السريانى

ولعل استمرار وجود الرهبنة للان وسط هذه الأجواء المشحونة ، وهذا العالم الغريب الأطوار ، لهو أكبر صفعة موجهة نحو الشيطان واعوانه ، ولعل هذه الصلوات المنبثقة مثل لهيب النار ، من داخل قلالى الرهبان ، لهى لطمة أشد نحوه أيضا . وبقدر ما أن هذه الصلوات هى رائحة بخور ذكية مرفرعة أمام الله كذبيحة نقية ، الا انها تذللات أمام الله ، لا ليرحم الرهبان فقط ، بل العالم أجمع والبشرية بأسرها ، التى مافتئت تئن تحت ثقل الخطية بصورها وأشكالها الحديثة الرهيبة.

واذن نحن فى حاجة ماسة إلى قلاية ، الى مخدع للصلاة .. نلتمس الله فيه .. ليكون لنا فيه معه عشرة وحياة جديدة تصل بنا إلى الميناء .. ميناء الخلاص .. وهذا يكون اولا لمن يقبل ، ومن يقبل فليسلك هنا .. فى البرية .

ومبدأ الأعتزال عن العالم فى القرون الأولى بمصر ، ومن بعد دخول المسيحية بها ، كان يقوم و بخصوص الأنفراد ، ان يعيش الناسك أو المتوحد إما فى مغارة أو كوخ أو مقبرة أو بالمعابد الوثنية أو حتى على عامود .. بل ان البعض عاش أحيانا بجزع شجرة أجوف (١) .

وجاء هذا المبدأ وأسلوب العيش هذا تصديقا لقول السيد المسيح .. والذى كانت تعاليمه هى الأساس الذى سار عليه الرهبان وطبقوة .. اذ يقول :

" للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار واما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه " (متى ٨:٩) ..

ولاعجب أن يتجه المسيحيون فى القرون الأولى إلى الأماكن المقفرة عائشين تائهين بالبرارى والجبال وشقوق الأرض (عب ١١ : ٢٣) .. فمحبوا الوحدة والاعتزال يجذبهم مظهر البرية ، ومشهد القفر الذى يبعث على الزهد فى الدنيا ، بل ويميت فى القلب حركات الشهوة نحو العالم .

وليس هذا نابعا ، بكل مفاهيمه الرائعة هذه ، من العدم أو هو خيال .. فهناك أمثلة حية .. ينابيع روحية ماؤها العذب لاينضب ابدا .. هؤلاء هم الرهبان القديسون الأوائل . ونحن نجد ان التاريخ القبطى لم يحو فى طياته .. بين صفحاته .. ماهو اعجب من الرهبنة والرهبان . وهذا التاريخ الشيق نجده بين اوراقه يجمع بين أباء البرية بسيرتهم العطرة ، واقوالهم التى جسدت أقوال معلمهم الاول السيد المسيح نفسه .. فصارت حياتهم وسيرتهم ناراً لازالت وإلى الان - تحرق وتلهب الكثيرين ، فتسارع منطلقة نحو البرية .. مركز الالهام .. منبع الحب .. فتروى عطشها فى شركة حية معهم وكأنهم لايزالون هنا ، اليوم ايضا .

وممن ايضا استقوا تعاليمهم وسلوك حياتهم ، من الرهبان القدامى العهدين القديم والجديد .. ومنهم ، ايليا النبى الذى عاش حياة التجرد وكانت الغربان

1- Adictionary of christian Antiquities - Vol.2-P.1228 .

تعوله ، بل كان ايضا يحب السكنى بالجبال حيث الهدوء والشركة مع الله ، وكان لاينزل إلى المدينة إلا بناء على أمر إلهى لأداء رسالة معينة . وهيئته كانت أيضا هيئة رجل جبال ناسك ومتقشف ، رجل صلاة وعبادة .(٢)

وشأن إيليا النبى هو شأن اليشع النبى الذى عاش حياة التجرد والزهد مثل معلمه ، واتخذ جبل الكرمل مقراً دائما له . وكذلك النبى ارميا كان محبا للسكنى فى البرارى .. هذا الذى قال متمنياً اياها :

" ياليت لى فى البرية مبيت مسافرين فاترك شعبى وانطلق من عندهم " (أر ٩ : ٢) .

وفى العهد الجديد وجدنا أخرين عاشوا لاكرهبان فقط ، بل عاشوا درجات التقشف والنسك والكمال المسيحى بشكل عجيب يعكس محبتهم العظيمة لربهم وفاديهم يسوع المسيح .. ومنهم ، القديس يوحنا المعمدان ، هذا الذى عاش فى البرية بلباس من وبر الابل ومنطقة على حقويه .. ومازال الرهبان حتي الان يلبسون هـذه المنطقة الجلديـة لتشد وسطهم وتساعدهم على الاصوام والمطانيات (٣) .

+ حذا الرهبان القديسون منذ نشأة الرهبنة حذو مريم العابدة الهادئة المتأملة واختاروا نصيبها ، وتمثلوا بيوحنا المعمدان الناسك العابد ساكن البرارى ، فخرجوا سائحين إلى البرارى والقفار وشقوق الارض من اجل عظيم محبتهم فى الملك المسيح .

فى البرارى حيث السكون والهدوء جلسوا فى حضرة الرب وتمتعوا به وعرفوه عن قرب وصاروا اصدقاء ومعارف واحباء خصوصين له ، صارت لهم دالة محبة معه .

آمنوا بحياة العبادة واقتنعوا بصحتها وسلامتها ، فكرسوا

٢- سمو الرهبنة للأبنا متاؤوس الأسقف العام ص ١١٧ - طبعة ثالثة ١٩٩٠ .

٣ - نفس المرجع السابق - ص ١٢٥ .

نفوسهم لها فى هذيذ دائم ودهش مطلق وفحص مستمر للنفس ومراقبة دائمة لحركاتها وسكناتها حتى وصلوا إلى درجات عالية من النقاوة والطهارة وبالتالى إلى الاتحاد بالله .

تلذذوا بالرب وطابت لهم العشرة معه حتى نسوا اهلهم وذويهم كما يقول الشيخ الروحانى « محبة المسيح غربتنى عن البشر والبشريات » . عبقوا البرارى بصلواتهم وينابيع دموعهم وذبائح اصوامهم ونسكياتهم وانسحاقهم !!

سمو الرهبنة

الأنبا متاؤوس الأسقف العام

وفى مصر تعددت محاولات الانفراد والعزلة والتوحد وممارسات النسك ، سواء بالمدن أو بالبرارى بالقرى أو الوديان .. وهذا بداية ومنذ أن بشرها القديس مارمرقس بالمسيحية ، هذا الذى كان تأثيره واضحا عجيبا على شعبها ..

+ ان مارمرقس العظيم أول أساقفة الكرسى الاسكندرى ، لم يكن يعرف معنى للأسقفية سوى ان يجول مبشرا من مكان إلى مكان بكلمة الرب .. وبغيرة عجيبة استطاع ان يحول الكثيرين إلى الايمان بالرب على الرغم من كثرة الأديان وكثرة العبادات .

لقد كان تأثير مارمرقس فى الاسكندرية واسعاً جداً ، وكان ايضا عميقاً جداً . فلم يقتصر بخاصة على كثرة عدد المؤمنين ، وانما بالاكثر عمق روحياتهم وشدة صلتهم بالله وزهدهم فى المادة.

قداسة البابا شنوده الثالث

وحقا لقد كان هذا القديس " أرومة للنسك وأباً للنساك " ولهذا فقد سارت الكنيسة على يديه قدما إلى الامام وتحولت إلى فردوس سماوى . ونمت كلمة

الرب، التى هى الينبوع الحى الأول ، بقوة وسرعة عجيبة .. بل ومع الانتشار الافقى كان هناك ايضا امتداداً آخر رأسى نحو السماء ، حتي صارت مصر تشبه عُلية صهيون وفيها التلاميذ والشعب والروح القدس عليهم .

وبهذا فأن ظهور الرهبنة بمصر ، كذلك عمران البرية بالنساك والرهبان كانت له تمهيداته .. الا أن فكرة النسك وهى الفكرة القديمة ، لم يتم تنفيذها الرهبانى إلا فى القرن الرابع الميلادى !

ولقد هيأت الطبيعة مأوى طبيعياً للنساك وراغبى الوحدة ، واحيانا اخرى هيأت الظروف ونمو الحدث الوليد " الرهبنة " أماكن اخرى .. إذ لم يكن لدى الرهبان الاوائل تفكير معينٌ لما يجب ان يكون عليه مأواهم وسكناهم ، فلم يكن للمتوحد قلاية بالمعنى المفهوم والذى سنشرحه بعد قليل ، بل لقد كان همهم الاول هو الانطلاق نحو البرية ولغرض واحد هو الالتصاق بالسيد المسيح ، فلهذا لم يلتفتوا إلى كيف واين سيسكنون ، لم يلتفتوا لأمر اخر .. فأيمانهم وحب الله فى البرية كان عقيدتهم ؟!

+ الخروج بالنسبة إلى بنى اسرائيل كان قصة ايمان .. لم يكن فقط أيماناً فى عبور البحر ذاته . إنما كان إيمانا بقيادة الرب لهم . لانهم خرجوا وهو لايعلمون الى اين سيذهبون .. لم يكن امامهم مكان معين سيتجهون اليه ، ولم تكن أمامهم صورة واضحة لمصيرهم بعد الخروج .. كل ما كانوا يعرفونه : أنهم خرجوا ليذبحوا للرب ، ليعبدوا الرب . خرجوا وراء الله فى البرية .

كما خرج أبونا ابراهيم من قبل وراء الرب " وهو لايعلم إلى اين يذهب " (عب ١١ : ٨) .. وكما خرج موسى من قصر فرعون ، وهو كذلك لايعلم إلى أين يذهب .

ولكننا فى حياة الايمان نضع أمامنا قاعدة روحية هامة ، وهى : ليس المهم إلى أين نذهب .. انما المهم مع من نذهب .. ومادمنا سنذهب مع الله اذن لايهم إلى أين ؟ ! ..

مع الله يكفى أن تمشى خطوة واحدة .. ولاتسأل عن باقى الخطوات !

قداسة البابا شنوده الثالث

وتبلورت أصول الرهبنة بوضعها الثابت المعروف ، وصبغتها الواسعة النطاق ، وشكلها المميز بدوافعها الرفيعة ، على يدى القديس أنطونيوس أب الرهبان فى العالم كله . وتطور الأمر أيضا بالنسبة لسكن الراهب فأنتقل من الكوخ والمغارة ، الى القلاية بأشكالها ومبانيها وأبعادها ، بمعمارها واوضاعها .

ورغم انتهاء الامر اخيرا بالقلاية داخل الأسوار وكذلك تطورها ومنذ ظهور الرهبنة وحتى الان ..فإن مبادئها وأفكارها الروحية - أى البنية الأساسية - ثابتة ولم تتغير ، فلم يَسُدْ عليها عامل من تلك العوامل التى اتت مبدلة لاسلوب الرهبانية الأصيلة فحصرتها فى شكلها الحالى ، أى داخل الأسوار التى تحوى بداخلها الكنيسة والحصن - إلى جانب القلالى طبعا .

وهذا الانحسار جعل للقلاية شكلاً جديدا وأسلوبا حديثا ، جمع بين حياة الوحدة (اذ لكل راهب قلاية منفردة) ، وبين حياة الشركة (اذ أنه توجد صلوات وأعمال كثيرة مشتركة بين الرهبان) .

وكنوع من التنظيم رتب الآباء للراهب حياة القلاية .. وأسسوا ورسخوا معانيها ، التى هى عشرة مع الله اولا .. وشركة مع الاخوة ثانيا .. وقد رتب الآباء هذه الحياة الجميلة بعد ان أدركوا فائدتها فى التعليم ، وكان شعارهم لكل سائل هو :

" إجلس فى قلايتك وهى تعلمك كل شئ .. كل شئ " .

ونحن هنا نلقى نظرة على تطور مبنى القلاية والعوامل التى ساعدت على نشأة وتطور هذا المبنى ، بداية من ظهور حياة الناسك الأولى فى المغارات ، وامتداداً حتى عصر المنشوبيات وظهور الحصون ، وإلى وجود القلاية داخل الأسوار .. واخيرا شكلها الحالى الجديد وظهور افاق جديدة فى عالم القلالى ، ورغم أن هذه الأفاق هى عودة للقديم - الذى هو الأفضل دائما - كالقلالى المنفردة وحياة المغارة ، إلا ان القلاية فى ثوبها الجديد هذا ، تحمل داخلها وبين طياتها نفس المعانى والأفكار الرهبانية السليمة التى بدأت بها فى عصور الرهبنة الأولى .

وسنتكلم ايضا عن مفهوم القلاية الروحى ومن واقع أقوال الآباء ، وكيف ان التعاليم الروحية الخاصة بها هى .. هى التى سلمنا أياها الأباء الشيوخ القديسون القدامى سواء فى كتاباتهم أو سيرهم الذكية ، أو من واقع خبرة الشيوخ الحالية والذين هم أكبر سند لتلاميذهم واولادهم الروحين .

وإذ نريد ان نتكلم عن مفهوم القلاية ، فأننا وبلاشك سنلقى نظرة سريعة على الحياة الروحية للراهب بأسرها ، فماحياة الراهب الا حياة القلاية .

الرهبنة تسليم وتسلم ، ونحن نتعلم ونتلقن أصول الحياة الروحية والمبادئ الرهبانية ، ونسلم ونضع ما بين ايدينا إلى من يأتون بعدنا ، بكل أمانة دون تغير .. وحتى لاتهتز البنية الأساسية والنواة الرئيسية ، لا لمفهوم القلاية الروحى والتعاليم الرهبانية فحسب ، بل والتعاليم والطقوس والتقاليد الكنسية القبطية الارثوذكسية الصميمة التى ورثناها كتقليد مبارك من ابائنا القديسين والشيوخ القدامى الذين حفظوها لنا بالعرق والدم على السواء ..

وبهذا تظل الرهبنة مرجعا لايستهان به ، والحصن الحصين لكنيستنا المجيدة على مر العصور والدهور !

أخيرا ، القلاية عند الراهب هى كل شئ ، هى جزء منه .. هى نبعه ، هى الصبر ، هى مكان السقوط والقيام ، هى الاختبار الحى اليافع الناضج للراهب ، فيها يتقدم الراهب وينمو . خارجها يربط الشياطين وداخلها تزوره الملائكة . فيها تنسكب الدموع بغزاره ، يصعد الانين ، يمتزج الفرح بالسلام ، والصمت بالهدوء الالهى . فيها يغمر الراهب شعور خاص مع الله .. انما هو .. هو الحب !

بالصلوات والطلبات التى ترفعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة العذراء مريم ، وطلبات جميع الشهداء والآباء القديسين ، وصلوات أبينا الطوباوى المكرم البابا شنوده الثالث ، وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤوس الأسقف العام الذى قدم لنا الكتاب ، الرب يعوض كل من له تعب ، .. ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين .

الراهب حنانيا السريانى
برية ميزان القلوب
" شيهيت"

١٥ أبيب ١٧٠٦ ش - ٢٢ يوليو ١٩٩٠م
نياحة مار افرام السريانى

تعاريف

قلاية : Cell : جمعها قلالى Cells ومنها جاءت كلمة كيليا أى القلالى Cellia وهى اصلا كلمة يونانية معناها حجرة أو حجيرة فى دير ، وتسمى احيانا صومعة وسمى الرهبان لذلك " ساكنى القلالى "Cellulani ordwellerin cells وسميت القلاية عند القديس باخوميوس أب الشركة Syncellita أى المشاركين فى قلاية Sharer of the cell .

دير : monastery سمى أولا مسكن المتوحد أو مغارته أو قلايته بالدير، وهى كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Monachos أى العيش منفرداً "Living alone " . وهى ايضا كلمة يونانية . وكان الدير فى القرن الرابع عبارة عن مجموعة من القلالى المنتشرة حول الكنيسة ويرعاهم أب واحد (قمص الجماعة) . وفى عصور لاحقه ظهر الحصن والأسوار ، واصبح ما داخل الأسوار يسمى ديراً بمفهومه الحديث .. وسمى أحيانا بالقستالية ، وأحيانا أخرى لورا laura – أى تجمع للقلالى .

الرهبانية : بفتح الراء وتشديد الياء – Monastism وهى طريقة الرهبان . ومثلها الرهبنة أى اتخذ طريقة الرهبان – انقطع للعبادة . وجاء منها راهب monk أى واحد mono .

الشركة : كنوبيون Conobitic ، وهى كلمة يونانية الاصل وهى مركبه من Koinwnia – أى شركة و Bioc أى سيرة أو عيشة أو عمر . فمعنى كنوبيون " عيشة مشتركة " . فيسمى الدير كنوبيون . وجمعه كنوبيات . وتنطق خطأ كنونيون بمعنى شركة فقط .

وادى النطرون : wadi Elnatron ، وهى ترجمة للكلمة القبطية " بهلس" يقع فى الصحراء الغربية (الصحراء الليبية قديما) – غرب محافظة البحيرة وتابع لحدودها الادارية . ويسمى جبل شيهيت (وتنطق خطأ شهات) ويسمى بالاسقيط – واسقيط مقاريوس – ووادى هبيب بفتح الهاء وفتح الباء وسكون

الياء) وهو رجل يدعى هبيب . القائد العربى الذى أقام بالوادى بالقرن السابع . وقديما خلط البعض بين وادى النطرون ومنطقتى كيليا ونيتريا اللتين تقعا خارج وادى النطرون - إلى الشمال الشرقى ٦٠ كيلو مترا (بعد ان كانت قديما تنسبان اليه فى المعنى المتسع للاسقيط أو وادى النطرون (ينطق الاطرون خطأ) . وشيهيت تعنى بالقبطية ميزان القلوب ، وهى من مقطعين . وسمى كذلك بالاسقيط باللغة القبطية أى النساك .

الباب الاول

نشأة القلاية

لم تظهر القلاية من فراغ ، فلها تاريخ عريق ، وهى حقا تراث الآباء المقدس ، ولهذا ينبغى دائما أن تكون عامرة بحرارتهم وجهادهم وروحانيتهم وصلواتهم ، كأمتداد من الماضى الرائع بصورة المشرفة الجميلة ، وإلى الأن وحتى المستقبل البعيد .

والقلاية علامة البرية الاولى التى لم تنقرض من الرهبنة ، وطالما ان هناك رهبنة فهناك قلاية .. القلاية علامة الحياة الرهبانية قلبا وقالباً - من الداخل والخارج ايضا - انها لؤلؤة كثيرة الثمن .. القلاية كالتفاح بين شجر الوعر (نش ٢ : ٣) .. اى انها علامة حياة فى برية قاحلة ، مركز اشعاع فى ظلام البرية المخيف ، فيها يحيا وينمو الراهب ويعيش بين وجدانها ويروى نفسه العطشة إلى الله .

والقلاية بدأت بداية هادئة ومتواضعة إذا ما قورنت بصورتها الحالية ، فقد ترعرعت ومرت بظروف عديدة ، واحاطت بها عوامل شتئ ادت إلى تطور مترادف بتطور اخر يضيف شيئا جديداً إلى الشكل القديم .

ومنذ اضطهاد الرومان للمسيحين لم تظهر لهم منشأت دينية طول ثلاثة قرون من بعد أنتشار المسيحية ، فقد اضطروا أن يمارسوا عباداتهم وصلواتهم فى أماكن شتى متفرقة بعيدا عن أعين زبانية الرومانيين . واستمر الحال هكذا وإلى ان اعتنق الامبراطور الرومانى قسطنطين المسيحية ، وكذلك بعدما أقر الامبراطور ثيؤدوسيوس الاول الديانة المسيحية الدين الرسمى الأول بالبلاد ، وهنا بدأت الممارسة للعبادة المسيحية تأخذ شكلها العلنى .

وهكذا بعدما وجدنا النساك الأوائل يعيشون فى مقابر واكواخ ومغائر بالجبال ، وجدنا ان هذا الحال لم يستمر طويلا ، فسرعان ما أمتلأت مصر بالرهبان وعمرت البرارى بالقلالى ، وانتشرت المغائر المنحوتة والمبنية فى نفس الوقت ، كما ظهرت المنشوبيات الكبيرة والتى كانت الواحدة منها تعتبر ديراً صغيراً .

فبينما القديس أنطونيوس الكبير يسرع بخطاة ويدب بعصاته فوق صخور جبال الجلالة الشرقية الوعرة ويرشد طلاب الرهبنة الى أماكن الإختلاء والوحدة .. وجدنا على صعيد أخر القديس آمون ، وبعده بقليل القديس مقاريوس الكبير (١) - تلميذى الأنبا أنطونيوس- يرشدان راغبى الرهبنة بنيتريا ووادى النطرون نحو أماكن بناء قلاليهم .

وفى نفس الوقت تقريبا وجدنا القديس باخوميوس أب الشركة وبعده القديس شنوده رئيس المتوحدين ، يقيمان صرحاً عالياً هو أديرة الشركة .. تلك التى تجمع فى داخلها ، وفى زمن وجيز جدا ، الآلاف الرهبان .

وانتشرت القلالى من الاسكندرية إلى أسوان وبالدلتا ووسط مصر ، ومن الصحراء الشرقية إلى الصحراء الغربية ، وكان انتشارها هذا بشكل الصليب فيه اعلان عن بداية مرحلة روحية جديدة بربوع مصر يقودها " لباس الصليب " - أى الرهبان .

وبصورة لم يسبق لها مثيل ، عمر الرهبان البرارى والوديان ، الشقوق والكهوف ، المغائر والمقابر وحتى المعابد .. حتى ان كاتب الهوستوريا موناخورم(٢) نجده يصف الموقف العجيب بمصر فيقول :

" انه فى المدن الرئيسية على ضفاف النيل من أسيوط - ليكوبوليس Lycopolis Assiut- وحتى الاسكندرية وفى البرية التى يخترقها النيل نجد بعض مناسك لبعض المتوحدين أحيانا ، وأحيانا أخرى بعض الرهبان معا.. لكنهم اكثر منها توحدية عن كونها شركة " (٣) .

١- يرجح الكثيرين ان القديس مقاريوس قد تتلمذ على يدى القديس انطونيوس الكبير لفترة ، وكذلك القديس آمون ، وقد حقق هذا الامر بدراسة مستفيضة المؤرخ ايفلين وايت . انظر تاريخ الرهبنة القبطية " - ج١ - ص ١٠٥ - ١٠٧ - تعريب الراهب القس بولا البراموسى .

٢- الهوستوريا موناخورم - رحلة سبعة رهبان من فلسطين لبرارى مصر سنة ٣٩٤ م . اعاد كتابتها المؤرخ روفينوس بعد ان اضاف ما رآه هو بنفسه فى مصر سنة ٣٧٣ م .. وكتبها فى ما بين سنة ٤٠٠ - ٤١٠ م ، ترجمها القس بولا البراموسى من الانجليزية الى العربية .

٣- الهوستوريا موناخورم : عن مقدمة لمؤلفها - تعريب القس بولا البراموسى .

نظامان أساسيان :

والحقيقة ان الرهبنة لها نظامان أساسيان عرفت بهما منذ القرن الرابع ، وهما:

١ - **نظام الشركة :** وهم الذين يعيشون فى مجمع يقودهم أب كبير .

٢ - **نظام التوحد :** وهم الذين تدربوا فى البداية على نظام الشركة ، وتكملوا متدربين فى الحياة النسكية العملية بأغوار الصحراء (٤) .

وفى كلا النظامين مرت القلاية بعده مراحل وقبل ان يتبلور شكلها فى صورته الحالية ؛ ولقد أحاط بتطورها ونشأتها عدة عوامل بعضها جغرافى وجيولوجى ، وكذلك عوامل روحية أضفت الكثير مما يمكن قوله عن التغير التدريجى الذى نمت فيه القلاية من صورتها البسيطة الأولى ، وحتى دخلت بين الأسوار .

+ لقد رأيت أيضا شركة كبيرة من الرهبان - من سائر الأعمار ، يعيشون فى البرية وفى الريف عددهم يفوق الحصر . أنهم كثيرون جدا لدرجة ان امبراطورا أرضياً لايمكنه ان يجمع جيشاً كبيرا بهذا العدد . لانه لاتوجد قرية ولا مدينة فى مصر وطيبة (مصر العليا) ، ليست محاطة بالمناسك ، كما لو كانت محاطة بأسوار .. ويعتمد الناس على صلوات هؤلاء الرهبان بعضهم يعيشون فى مغارات بالبرية ، وأخرون فى مناطق أكثر بعداً .

الهوستوريا موناخورم

---

٤ - هذا التقسيم تبعا للقديس يوحنا كاسيان الذى زار مصر فى سنه ٣٨٥ م وسجل مناظرات لعدد كبير من متوحديهما ، انظر مناظرات يوحنا كاسيان - المناظرة ١٨- ص ٤٤٩ - تعريب القمص تادرس يعقوب .
ولقد اتبع القديس جيروم نفس هذا التقسيم وذلك فى رسالته الى اوستيكيوم ابنة الثرية باولا ، انظر كتاب N.p.N. fathers Vol. 6-P.21 وقد اضاف كلا الكاتبين نوعا ثالثا من الرهبان وهم Serabtian وقد كانوا قلة وانتهوا سريعا فلم نشر اليهم .

العوامل التى ساعدت على نشأة وتطور القلالية :

إلى حد بعيد تحكمت هذه العوامل فى نشأة القلالى ، واختلف مقدار تأثير كل عامل منها مع مر السنين والقرون . ولعل أسباب تأثير هذه العوامل المتباينة فى تطور القلالى هو ان الرهبنة بصفة عامة ، متطورة ليست جامدة .. بل هى "متحولة " فى اتجاة تصاعدى نحو السماء فيتحول الرهبان من بشر أرضيين إلى ملائكة سمائيين . وفى سبيل هذا يستخدم الرهبان البيئة وماحولهم كوسيلة تصل بهم الى الغاية ، وبحكمة وافراز سواء فى اعمالهم أو متطلباتهم ويختارون ما يناسبهم منها .. ورغم هذا كله يحافظون على تحولهم التصاعدى هذا نحو السماء.

أى ان الرهبنة قد تعايش فى شكلها الخارجى متطلبات العصر من تقدم ورقى ، الا ان هدفها الرئيسى ، وهو الأتحاد بالله وخلاص النفس ، ثابت لايتغير، ومهما كانت السبل إلى تحقيق هذا الأتحاد .

ولهذا نجد ان الرهبان قد استخدموا البيئة افضل استغلال لا ليبنوا قلاليهم فقط ، بل وليمارسوا عمل ايديهم ويحققوا لقمة العيش من كدهم وتعبهم ، وكذلك يثبتون اقدامهم فى مشوار طويل مملوء بالتعب والفرح .. بالجهاد والصبر والسلام .

ومن هـذه العـوامـل :

أولا : العوامل الجغرافية والجيولوجية .

ثانيا : العوامل الروحية .

أولا : العوامل الجغرافية والبيولوجية

١ - الموقع :

لعبت طبيعة الموقع وتضاريسة دورا هاماً فى اختيار الرهبان لمواقع قلاليهم وبالتالى أديرتهم ، فمن حيث المبدأ حافظ الرهبان على بعدهم عن العالم ، حتى ان اقتربوا بمبانيهم من القرية أو المدينة ، فلم يسمحوا لعادات العالم ومحاولات الشيطان المستميته لبسط اسلوب العالم عليهم ، ان يتغلغل الى نظامهم ، فلهذا فضلوا ان يبتعدوا - وبخاصة المتوحدون - عن المدينة وكل ماهو احتكاك عن العالم .

وادى النطرون :

وجدنا القديس آمون يعتزل فى منطقة نيتريا (٥) ، هذه المنطقة التى اعتزل فيها من قبل سبعون شخصا فى القرن الثانى ، وذلك برئاسة شخص يدعى فرونتنيوس Frontonius ، وهذه المجموعة اندثرت بموت مؤسسها وانقطاع المؤن التى كانت تأتيهم من الإسكندرية (٦) .

ومنطقة نيتريا تأسست فيها أول مستوطنة رهبانية حقيقية فى منطقة الصحراء الغربية بمصر ، وتميزت هذه المنطقة بجمال طبيعى يضفى على البرية سحرا ، ومما حدا بالمؤرخ ايفلين وايت أن يقول :

" تمتعت منطقة نيتريا بمزايا طبيعية ، الا أن شهرتها العظيمة وازدهارها كانت بسبب موقعها . فهى تقع على حافة الصحراء حيث تشكل حدودها مع الدلتا منحنى جارفا فى الاتجاه الشمالى الغربى ، وكان هذا الموقع يشرف ذات مرة على سهول الدلتا الشمالية والاسكندرية .

٥- هى قرية قديمة ، اسمها الأصلى برنوج ، وردت فى منطقة تبع أعمال حوف رمسيس فى كتاب "تحفة الارشاد " وفى قوانين مماتى ، وفى الانتصار محرفة بأسم برنوج ، وفى تاريخ تحت سنة ١٢٢٨هـ بأسمها الحالى أى قرية البرنوجى ، وهى تبعد عن دمنهور الحالية ١٤ كيلو متر . أنظر القاموس الجغرافى للبلاد العربية لمحمد رمزى ص ٢٨٢ وتحت مركز دمنهور - محافظة البحيرة . ومعجم البلدان ص ٢٨٥ حرف الدال ، وكتاب مسالك الابصار فى ممالك الامصار لابن فضل الله العمرى ج١ ص ٢٣٤ .

6- Cheneau : Les Saints d' Egypte U.1 P.474.

وكانت الميزة الناجمة عن ذلك مضاعفة :

- **فأولا** ، أمكن للرهبان من هذه المنطقة العامرة الفسيحة - أى الاسكندرية والدلتا- ان يتجهوا بعد جحدهم للعالم ، وطبيعيا ، الى جبل نيتريا . وهذا ادى إلى ازدياد الرهبان فأدى ذلك ايضا إلى قيام مستوطنات كبيرة بنيتريا.

- **ثانيا** ، كانت الجماعة الرهبانية فى هذه البقعة ، بالضرورة على علاقة وثيقة بالشئون الكنسية ، وفى الدلتا التى شكلت جسد الكنيسة ، وفى الاسكندرية قلب ورأس الكنيسة المسيحية فى مصر " (٧)

هذا بخصوص نيتريا ، أما بخصوص موقع أخر كمنطقة القلالى " كيليا "، والملاصقة لمنطقة نيتريا ، فقد كانت نشأتها شيئا طبيعيا ، أذ انه بعد ان يتأقلم الراهب ويتهذب بحياة المجمع ، كان عليه ان ينفرد فى وحدة مع الله ، فتطلب الأمر منطقة ليست ببعيدة عن الدير الأم . فكانت صحراء القلالى قرب نيتريا الأم ، والتى لمع نجمها عن نيتريا فى قرون لاحقة للقرن الخامس الميلادى (٨) .

أما فى الاسقيط فقد اختار الرهبان موقعا ممتازا وأكثر مثالية لمواقع قلاليهم ، فقد أدرك راغبوا الوحدة والاعتزال أن الاسقيط يوفر لهم أكثر كمالا عن جبل نيتريا أو غيره :

" كانت مؤسسة القديس مقاريوس تقع على نحو أربعين ميلاً من تيرنثيس Terenathis وهى أقرب نقطة فى الدلتا ، بينما كانت مؤسسة القديس أمون تقع

---

٧ - تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الاثرية المعمارية لاديرة وادى النطرون منذ القرن الرابع الميلادى إلى النصف الأول من القرن الـ ١٩ م - لايفلين وايت - جـ١ - ص ٥٥ . تعريب القس بولا البراموسى .

٨ - خصصنا كتاب ان شاء الله للحديث عن هذه المنطقة الفريدة ، ونستعرض فيه أبحاث العشرون سنة الأخيرة واخر التقارير والدراسات عن هذه المؤسسة الرهبانية " كيليا Cellia ".

على حافة " العالم المأهول " بكل تجاربه وازعاجاته . وفى الاسقيط ، كان من الممكن انشاء مستوطنة على نطاق كبير : فالمياه يمكن ان توجد ، والمسافة عن الدلتا لم تكن كبيرة على نحو يمنع من نقل المؤن إلى هناك ، أما بقوافل خاصة ، وأما بالترتيب مع هؤلاء الذين يأتون للعمل فى النطرون " (٩) .

إذن تهيأ الموقف فى غرب مصر ولراغبى الرهبنة والوحدة ، فوجدا بالمكان الهدوء والعزله المرغوبة هذا إلى جانب وجود النطرون وسهولة العمل به ، وقد عمل بجمعه فعلا رهبان نتيريا . وبهذا لقد امكن للرهبان بناء القلالى بسهولة ويسر لتوفر مواد البناء من المستنقعات القريبة .

منطقة الدلتا :

بمنطقة الدلتا كان الحال صعبا جدا واختيار الرهبان لمواقع قلاليهم درباً فى الزهد والنسك وشظف العيش .فمن واقع كتابات القديس يوحنا كاسيان ومناظراته مع متوحدى هذه المنطقة ، كذلك الهوستوريا موناخورم ، نستطيع ان نصف مواقع القلالى والأديرة بمنطقة الدلتا هذه !! ..

فمثلا يصف كاسيان مدينة بنى فزيز - بانوفيس Pone physic وذلك أثناء مقابلته لمتوحدى هذه المدينة التى اسقفها الانبا ارخيبوس (١٠) فيقول :

[وهكذا أخذ عكازه ومزوده ، كعادة الرهبان ، وبدأ معنا الرحلة ، مرشد إيانا الطريق إلى مدينة - أى بانوفيس - الأرض التى هى اعظم جزء فى المنطقة المجاورة (اذ كانت قبلا اغنى منطقة ، وكما يقال فأن مائدة الملك كانت تعد من

٩- " تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية " ص ٥٦ - ٥٧ لايفلين وايت - تعريب .

١٠- الاسقف ارخيبوس : كان راهبا فى دير شركة ولمدة ٣٧ عاما من قبل ان يكون أسقفا وهذه اشارة قديمة لاختيار الأساقفة من بين الرهبان .

انظر مناظرات يوحنا كاسيان مناظرة ١١ - ص ٢٧١ - تعريب القمص تادرس يعقوب .

منتجاتها) . وهذه الأرض طغى عليها البحر وصارت خرابا ، وتحولت لمستنقعات مالحه ، حتى ان من يراها يظن أنها هى التى قيل عنها فى المزامير :

" يجعل الانهار قفاراً ومجارى المياه متعطشة والأرض المثمره سبخه من شر الساكنين فيها " (مز ١٠٧ : ٣٣ - ٣٤) .

فى هذه البقاع دمرت مدن كثيرة وهجرها سكانها ، وتحولت إلى جزائر ، وصارت مسكنا لراغبى الوحدة والعزله للنساك القديسين][١١].

وهكذا سكن المتوحدن هذه المنطقة التى تشابهت كثيرا مع المناطق الأخرى القريبة ، ومنها منطقة ديولكوس [١٢]Diolcos وماحولها ؛ وفى هذا يقول كاتب الهوستاريا موناخورم :

" هناك برية أخرى فى مصر بالقرب من البحر ولكنها قاسية وخشنة جداً وكان يعيش فيها متوحدون كثيرون عظام . وهى بالقرب من ديولكوبوليس Diolcoplic .لقد رآينا هناك قسا يدعى بياموناس (بيامون) .. وذات مرة كان يحتفل بالافخارستيا فرأى ملاكا واقفا عن يمين المذبح " [١٣] .

هذا كان حال الدلتا قديم، فبجانب النهر وجد الماء والطين وبالتالى المزروعات وسهولة المعيشة ، أما بعيدا عن النهر وقرب البحر فالبرية قاسية وخشنة . وكان البحر يطغى على الأرض مما هيأ مكاناً لراغبى الوحدة ، إذ أننا نلاحظ ان فى

١١- مناظرات يوحنا كاسيان - مناظرة ١١ - ص ٢٧٤ - تعريب .

١٢- ديولكوس كانت تقع على احد مصبات النيل السبعة القدامى ، وهى مدينة على الساحل بين فرعى النيل سينبتك وفانتك ، ولقد تكونت بحيرات الان يحجزها عن البحر قطعة ضئيلة من الرمال منها بحيرتا البرلس والمنزله - انظر كتاب " دخول العرب مصر " الفريد بطلر - ص ٢٥٧ - هامش ١.

١٣- الهوستوريا ناخورم - فصل ٢٥ عن بياموناس ص ١٤٦ - تعريب .

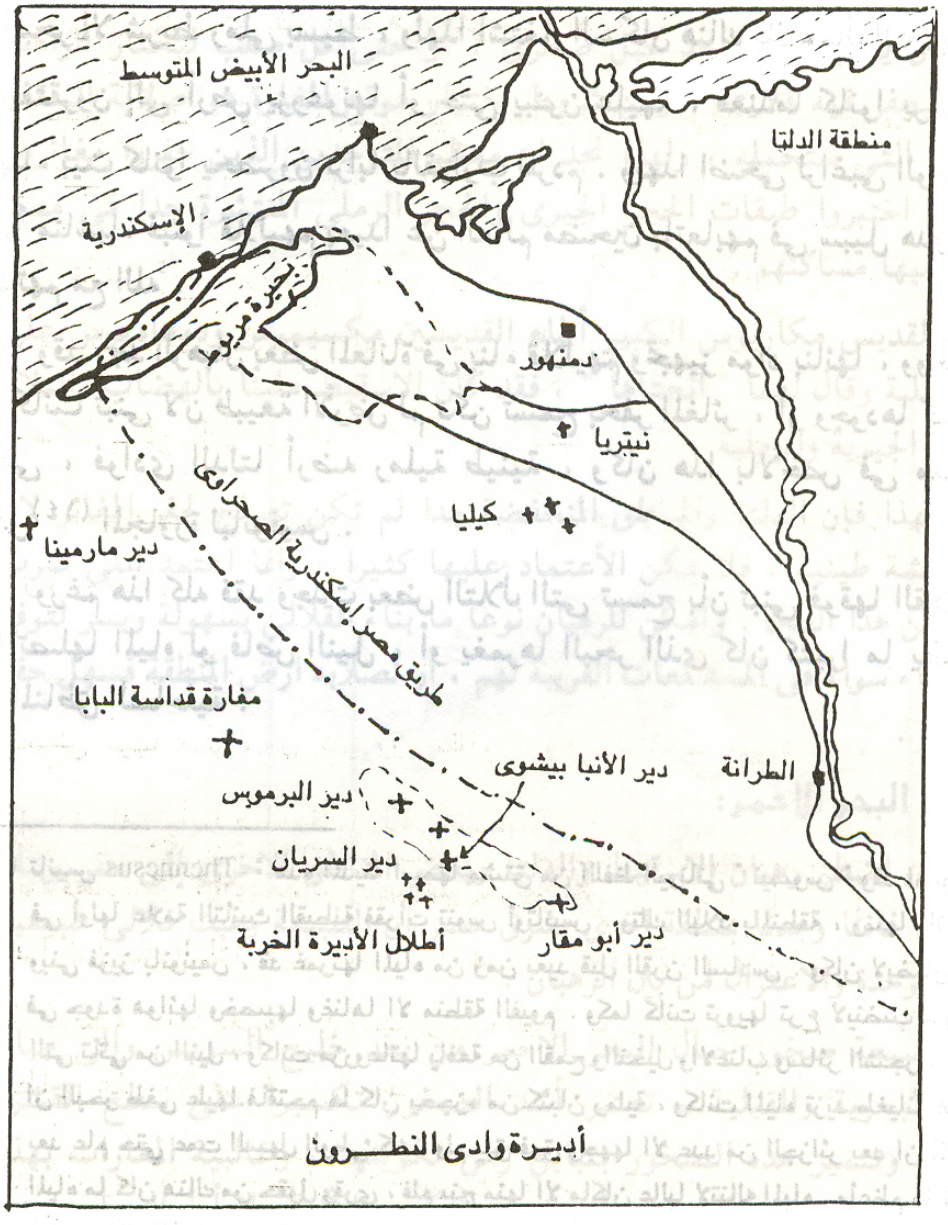
البحر الأبيض المتوسط
منطقة الدلتا
الإسكندرية
بحيرة مريوط
دمنهور
نيتريا
كيليا
دير مارمينا
طريق مصر إسكندرية الصحراوى
مغارة قداسة البابا
دير الأنبا بيشوى
الطرانة
دير البرموس
دير السريان
دير أبو مقار
أطلال الأديرة الخربة
أديرة وادى النطرون

منطقة الدلتا وقرب البحر بعض البحيرات المالحة (كالمنزلة والبرلس) ولايفصلها عن البحر إلا شريط رملى بسيط ، ولهذا اشتغل السكان هناك بالأعمال البحرية ، ولذ يفتقرون إلى أرض يزرعونها أو حتى يبنون عليها ، فعندما كانوا يرغبون فى بناء بيت كانوا يحضرون ترابا بالقوارب للردم . وبهذا اضحى لراغبى الوحدة مكاناً مناسبا ، فبنوا قلاليهم بعيدا عن العالم مضحين باتعابهم فى سبيل هدوئهم ووحدتهم مع الله .

وقد وجد الرهبان بعض المعاناة فى بناء قلاليهم وتجهيز مواد بنائها ، وواضح أنها كانت تبنى لان طبيعة الأرض لم تكن تسمح بحفر المغائر ، أو وجودها كشئ طبيعى ، فوادى الدلتا أرضه رملية طينية ، وكان هذا بالأخص فى مدينة تانيس[١٤] المجاورة لبانوفيس .

ورغم هذا كله فقد وجدت بعض التلال التى تسمح بأن تبنى فوقها القلالى . فلاتصلها المياه لو فاض النيل ، أو يغمرها البحر الذى كان كثيرا ما يطغى على المناطق الساحلية .

---

(١٤) تانيس Thennesus : هذه المدينة اسمها مشتق من اللفظ اليونانى " نيسوس " وقد اضيفت فى أولها علامة التأنيث القبطية فقرأت تنوس أوتانيس . وتلك البلاد بالمنطقة ، ومنها تانيس وبنى فزيز بانونيس ، قد غمرتها المياه من زمن بعيد قبل القرن السادس . وكان لايضارعها فى جودة هوائها وخصبها وغناها الا منطقة الفيوم . وكما كانت ترويها ترع لاينضب ماؤها التى تأتى من النيل ، وكانت مزروعاتها يافعة من القمح والنخيل والاعناب وسائر الشجر . غير ان البحر طغى عليها فاقتحم ما كان يحجزه من كثبان رملية ، وكانت المياه تزيد طغيانا عاما بعد عام حتي عمت السهل الوطئ كله ، ولم يبق فوق وجهها الا عدد من الجزائر بعد ان أكلت المياه ما كان هناك من حقول وقرى ، فلم ينج منها الا ماكان عاليا لاتناله المياه . وأعظم ما نجا من قرى تلك الأرض مدينة تانيس الشهيرة والتى صارت بها صناعة الكتان اعظم ما يكون .
انظر كتاب " دخول العرب مصر " الفريد بطلر ص ٢٥٧ – ٢٥٩ .
من المعروف ان هذه المدينة وغيرها من المدن المجاورة قد قبلت شروط عمرو بن العاص فاتح مصر ، على يدى رسوله الأمير عميرة بن ذهب ، ودخلوا ايضا دمياط فصار البحر بمدنه كله تحت سلطان العرب .. اخيرا تانيس مغموره الان تحت الماء ١٠ كيلومتر جنوب غرب بورسعيد .

شرط حفر المغارة :

إذن يجب ان يتواجد جبل صخرى ، أو حتى تل صلب ليختار الراهب موقعا ليحفر فيه قلايته . ومن شروط اختيار موقع المغارة هو صلابة السقف والحوائط التى ستحمله ، ولهذا نجد ان معظم المتوحدين الذين حفروا مغائرهم وقلاليهم اختبروا طبقات الحجر الجيرى والحجر الرملى المنتشرة جدا فى مصر لينحتوا فيها مساكنهم .

والقديس مكاريوس الكبير أطلع القديسين مكسيموس ودوماديوس على صخرة صلبة وقال لهما " انحتاها " ، فقد كان الاسقيط مليئا بالهضاب والتلال الصخرية الجيرية والرملية .

ولهذا فإن الدلتا والمناطق المنخفضة جدا لم تكن تصلح لحفر المغائر لان تربتها هشة طينية ، فلا يمكن الأعتماد عليها كثيرا ، وانما اعتمد على ضرب الطوب من هذا الطين . وأمكن للرهبان نوعا ما بناء القلالى بسهولة ويسر لتوفر مواد البناء سواء فى المستنقعات القريبة لهم ، أو لصلابه ارض المنطقة فسهل حفر المغائر بها .

منطقة البحر الاحمر:

وان اضطر رهبان الاسقيط والدلتا وبعض المناطق الاخرى إلى حفر وبناء قلاليهم ، فاننا وجدنا بمنطقة اخرى بشرق مصر ان الطبيعة وهبت قلالى طبيعية لراغبى الوحدة والاعتزال من بين الرهبان .

فطبيعة صخور جبال البحر الاحمر من بعد خليج السويس وإلى جبال الجلالة البحرية والقبلية ، تعتبر أشد الصخور تكسيرا على سطح القشرة الأرضية، وتتميز هذه الصخور بتباين زمن تكوينها ، وغالبية المغارات بهذه المنطقة (ومنها مغارتا القديسين أنطونيوس الكبير والأنبا بولا أول السواح) هى شروخ فى صخور طبقة الحجر الجيرى العلوية للعصر الجيولوجى الايوسينى(١٥).

ووجد الرهبان بغيتهم فى هذه الشروخ والمغائر ، وإلى الان نجد بعض المغائر المنتشرة بالمنطقة وبها أثار حياة سابقة ورسومات على الحوائط وبواقى شموع

---

(١٥) " جيولوجية مصر " - لرشدى سعيد - صدر سنة ١٩٦٠ جامعة القاهرة .

محترقة وأدوات عمل الرهبان اليدوية .

ومنطقة البحر الاحمر عموما كانت تسمى طيبة (١٦) وتسمى ايضا بالمنطقة الصخرية (١٧) The Porphyry وهذه المنطقة كانت موحشة جدا ، بل انه من شدة قسوتها صارت علما ووصلت شهرتها حتى الدلتا واعتبرها الرهبان مثالا فى التحمل والضنك .

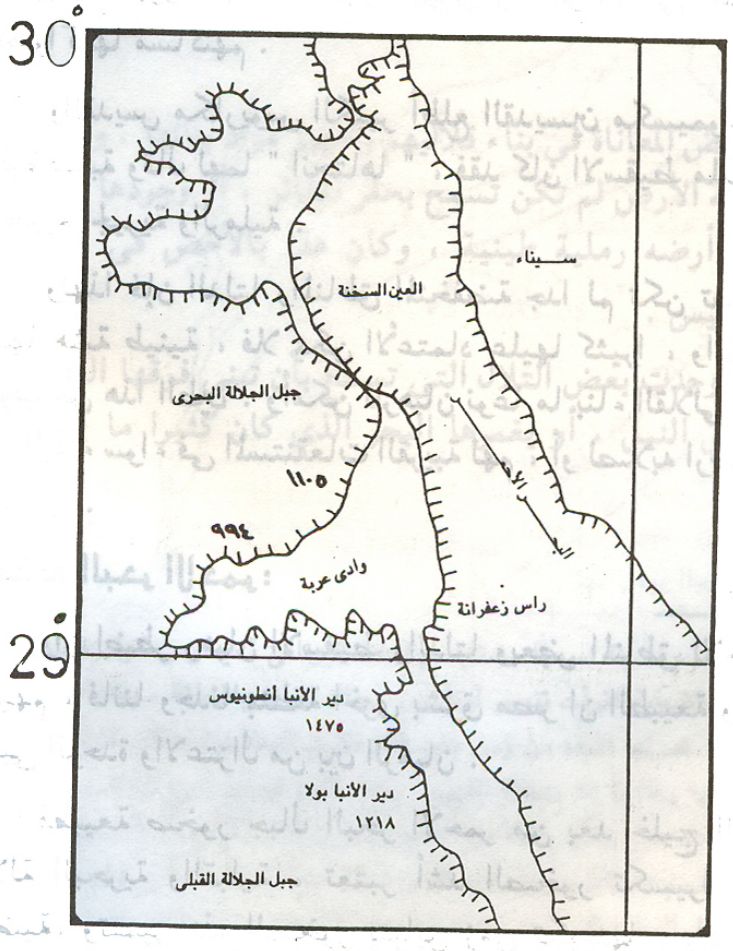

خريطة طبوغرافية لديرى الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس بشرق مصر
مع إظهار خطوط الطول والعرض وإرتفاع الأديرة عن مستوى
سطح البحر . نقلا عن اوتوميناردوس .

---

(١٦) طيبة هي مصر العليا وكانت تنقسم إلى طيبة السفلى وطيبة الوسطى وطيبة العليا ، وكانت جبال البحر الاحمر فى منطقة وادى عربة تابعة لطيبة السفلى (اى فى اتجاه بحري الشمال) .

(١٧) لكثرة تراكيب هذه المنطقة الصخرية المعتمدة المتنوعة ، ولشدة تكسرها سماها العامة والرهبان بالاحجار أو المنطقة الحجرية أو الصخرية – Porphyrion أو Porphyry وهى تعنى الحجر .

18- O.meinardus, monks and monasteries - P.86.

فالأب ابراهيم فى مناظرته الرابعة والعشرين من مناظرات يوحنا كاسيان يذكر القليل عن متوحدى منطقة الأحجار الصخرية ، فيقول :

" يظهر بوضوح كيف ان هذا صعب ومضن " وذلك من خبرة الذين يقطنون صحراء الصخور - بوريفرى Porphyrian أو القلزمClamus . فمع كونهم منفصلين عن كل المدن ومساكن البشر بمسافة بعيدة فى الصحراء اكثر مما لوحشية منطقة الاسقيط حيث يحتاج الوصول اليهم إلى السير سبعة أو ثمانية أيام فى وسط برية قاحلة . "

وكان أول من أقام فى هذه المنطقة هو القديس أنبا بولا ومن بعده القديس أنبا أنطونيوس وأقام كل منهما فى احدى هذه المغارات المنتشرة بالمنطقة . وسرعان ما عمرت على يدى القديس أنطونيوس وامتد الامر وظهر الدير الذى يحمل اسمه إلى الان . وكشفت البعثات الأخيرة ايضا النقاب عن عدة مغائر لمتوحدين ونساك قدامى فى وادى عنبه wadi Ghanabah ، وفى وادى بئر بخيت The Bir Boxhit ، وكذلك فى وادى اطفيح wadi Natfih وكذلك بالجفتون[١٨] ، مما يوحى بوجود عدد لابأس به من هذه المنطقة من المغائر عاش فيها الرهبان ومارسوا حياة نسكية عظيمة .

+ اخيرا تقابلنا مع الأب بولا ، هذا الذى يعيش فى الصحراء الداخلية التى تدعى صحراء الصخور Porphyrian desert . *ويبدو انه قام بتجهيز حديقة حوله بها بعض النخيل تمده ببعض الطعام، ولكنه لم يجد أى عمل اخر يقوم به ، لان سكنه كان بعيدا عن المنطقة المأهولة بسفر ٧ أيام أو أكثر عبر الصحراء . وبهذا فأنه سيبحث عن من ينقل له عمله ، أكثر مما يبحث عن ثمنه وكم يستحق عليه .*

جمع اغصان الجريد وبأنتظام ظل يعمل عمله اليومى وكأنه يعيش على هذا العمل . وكلما كانت مغارته تمتلئ بعمل سنة كاملة ، كان كل سنة يقوم فى نهايتها بحرق الذى اضنى فيه التعب هذا . بهذا أثبت ان الراهب مهم له جدا العمل الدائب الدائم ، فبدونه يقف

فى مكانه دون تقدم ولايصبو إلى مرتبات الكمال.

ان حاجته للطعام لم تكن تحتاج كل هذا العمل ، ولكنه قام بهذا العمل ببساطة ليعيش بقلب نقى ، وليشدد ويقوى افكاره ، وليثبت فى قلايته ، ولينتصر على روح الضجر ويسوقها بعيدا !

المعاهد ليوحنا كاسيان

٢- المياه :

لعل اكبر عامل يساعد الراهب ان يختار موقع قلايته هو وجود المياه على ان البعض لم يلتزم بهذا الامر فأختاروا مواقع تبعد عن المياه أميالا لا أمتارا . واهمية وجود المياه ترجع الى انها تساعد الراهب على ان يثبت فى المكان الذى اختاره ، فهو يحتاج الماء فى الشرب أو البناء واحيانا الزراعة والعمل اليدوى .

ومما ساعد الأنبا أنطونيوس الكبير ، عندما سكن بوادى عربة تحت سفح جبل الجلالة القبلية [١٩] وجود عين الماء ، ومنها كان يرتوى ويزرع ويسقى ايضا. وكذلك الأنبا بولا سكن بجوار نبع ماء . ولعل تفسير وجود الماء فى هذه المنطقة يرجع إلى وجود مخزون كبير للمياه الجوفية (من العصور المطيرة) تغذيها أيضا الأمطار الموسمية التى تتساقط على الجبل ووادى عربة . وتتواجد المياه فى الشروخ والكسور التى بالعصور الجيرية والرملية التى وجدت بالعصر الجيولوجى الطباشيرى .

وتتجمع المياة من الشروخ فى شرخ رئيسى تتدفق اليه من كل جانب ، وهذا الشرخ الرئيسى اتسع بالتدرج فوصل إلى عرض ٤٠ سم وإرتفاع ٧٠ سم فى عين مياه الأنبا أنطونيوس ، ويمتد حوالى ١٥ مترا إلى داخل الجبل .[٢٠]

---

١٩ - سميت " جبال الجلالة " احيانا "بجبال القلالة " ويقال انها سميت هكذا لانتشار قلالى الرهبان بها.

٢٠ - وتفسير ذلك ان التأثير الحمضى للماء المذاب فيه ك أ٢ (ثانى أكسيد الكربون) يحول الكربونات بالصخور إلى بيكربونات فتذوب فى الماء بسهوله مما ينحر فى جدار الشرخ ، وهذه العملية ليست وليدة اليوم فالأمر يحتاج إلى سنوات طويلة جدا لتتم هذه العملية وتصل الفتحة إلى هذا الاتساع . وهذا بخصوص التفسير العلمى الجيولوجى لهذه العيون ، لكن هذا لا يمنع ان الله سخرها تماما لخدمة اخصائه وفى هذه الأماكن بالذات .

+ كان احد الشيوخ يعيش فى البرية ، على بعد عشرة أميال من الدير ، الذى كان لابد ان يتردد عليه دائما للتزود بالماء . وفى يوم ما ضاق بهذا الأمر إذ شعر بارهاق شديد ، فقال فى نفسه : "أية ضرورة تلزمنى ان اجهد نفسى على هذا النحو ؟ سأعود للإقامة بالدير ، لاكون قريبا من هذا النبع الذى يستقون منه ! .

وما كاد ينتهي من كلامه حتى احس إنسانا يسير خلفه ، ويحصى عدد خطواته ، فالتفت اليه وسأل عن شخصه وهويته ، فأجابه قائلا : " انا ملاك الرب، وقد ارسلنى لاحصى خطواتك ، لتكافأ عليها " .

فتعزى الشيخ كثيرا لدى سماعه هذا القول وبحث عن مكان يزيد خمسة أميال اخرى ، وأقام هناك !

بلاديوس – التاريخ اللوزياكى

وكان نهر النيل بفروعه الكثيرة – وقبل ان تتحدد كما هى معروفة الآن – يعتبرا مورداً عظيما لرهبان صعيد ووسط مصر ، ولهذا لاتحصى القلالى والأديرة المنتشرة على جوانب نهر النيل ومن أسوان وحتى الاسكندرية .

أما الآن فيلجأ الرهبان إلى حفر الأبار العميقة والتى تمتد إلى مائة متر تقريبا تحت سطح الأرض ، ومنها إلى خزانات مياه عالية تضخ الماء إلى جميع أنحاء الدير ومبانيه بمواسير وحتى قلاليه ، وهذا بعد ان كان يحمل الماء الرهبان فى الجرار الكبيرة بعد ملئها بالماء من الأبار السطحية بواسطة الصفائح والجرادل .

ولجأ الرهبان إلى حفر الجوابى – القنوات الصناعية Artificial channels ، والتى تعتمد على اقتراب سطح الماء الجوفى من سطح الأرض ، فبجرف الرمال تظهر المياه وتضخ إلى الأراضى المرغوب زراعتها بماكينات رفع .

اخيرا ليتضح اعتقاد الرهبان وهدفهم الراسخ ، وانهم لايبالون ببعد أو قرب

القلالى من الماء ، وسواء عاشوا فى جدب أو ضنك ، وفى صحراء قاحلة أو حتى يانعة . نجد الأب ابراهيم ، الذى من الدلتا ، وفى مناظرته رقم ٢٤ التى القاها على القديس يوحنا كاسيان ، يقول :

" على أية حال لو أننا أقمنا قلالينا على ضفاف النيل لكى ما نحمل الماء إلى ابوابها بغير تعب ، فلا نحملها على أكتافنا بأنفسنا مسافة أربعة أميال - أى سبعة كيلومترات تقريبا - أما يوبخنا قول الرسول الذى يطلب منا الإحتمال بغير كلل بفرح ، قائلا :

" ولكن كل واحد سيأخذ بحسب تعبه " . . .

لكن إذ نحتقر كل هذه الامور ونزدرى بها تماما مع مباهج هذه الحياة ، نبتهج بالصحراء القاحلة البعيدة اكثر من كل الملذات إذ لانطلب نفعا زمنيا للجسد ، انما مكافأة أبدية للروح " (٢١) .

٣ - الطوب والأحجار والملاط :

كان المصريون القدامى يستخدمون الطمى النيلى فى صنع الطوب وذلك بتجفيفة فى الشمس واحيانا كان يخلط بالتبن ، ويسمى هذا " بالطوب النئ " ، ولم يكن حجمه كما هو الان صغيرا بل كان كبيرا ، وعندما استخدم الرهبان هذا النوع من الطوب فى بناء قلاليهم ظهرت الحوائط سميكة . ولقد درس الأمير عمر طوسون ابعادها فى منشوبيات دير ابو مقار فوجد ان طولها ٣٨ سم وعرضها ٢٠ سم وسمكها ٩ سم (٢٢) ، ورغم هذا كان الرباط بين الحائط والآخر ضعيفاً اذ لم تكن للطوبة صلابة (٢٣) .

وقد لجأ الرهبان إلى استخدام الطوب اللبن أو النئ أو الطوب بأنواعه ، بل وليس الرهبان فقط ، فقد كان عامة الشعب يستخدمونه ايضا ، فقد كان محظوراً عليهم استخدام الأحجار المستخرجة من المحاجر ، وذلك لان الحكومة هى التى كانت مسئولة عن المحاجر وهى التى تملك حق استخراج الحجر وحدها (٢٤).

---

٢١ - مناظرات يوحنا كاسيان - رقم ٢٤ - ص ٥٩٥ - تعريب .

٢٢ - أديرة وادى النطرون - ٢٣ - للأمير عمر طوسون .

23 - Christion Antiquities in the Vallley of the Nile - P.21 by clarke,S.

24 -Abid. P.17-18.

هذا علاوة على ان البناء بالحجر غالى التكلفة ويحتاج إلى جهد وإلى وقت لنحته لانه كان يقطع باليد .

واذا لجأ الرهبان للحجر فيكون بحالته الغشيمة (أى بدون تهذيب وغير مشذب الأطراف) وعند وضع المونة كانوا يحفرون الجزء الذى ستوضع عليه فقط[٢٥]، وهذا هو حال أديرة البحر الاحمر ووادى النطرون فمعظم الحجارة المستخدمة فى البناء من الصخور وطبقات الحجر الجيرى الشديدة التكسر ومستخدمة بحالتها التى وجدت عليها .

ولعلنا نجد عكس ذلك فى الدير الأبيض (سمى هكذا لان حجارته الخارجية لونها ابيض) الذى أسسه القديس شنوده رئيس المتوحدين ، فكله مبنى من الحجر الجيرى الأبيض الذى اما قطع من الجبل المجاور (ولهذا وجدت منطقة تسمى بالقطعية حيث كانوا يقطعون الحجر منها) ، أو احضر الحجر من المعابد والهياكل الفرعونية القديمة ، ولهذا كثيرا ما نجد بعض الكتابات الهيروغليفية على الاحجار بسور الدير والتى سقطت قشرتها الخارجية - أى المحارة .

وقد يكون الوحيد الذى قام بهذا العمل - أى قطع الأحجار ، وخلعها من المعابد - هو القديس أنبا شنوده نظراً لما تمتع به من وطنية وإيمان مسيحى قبطى صميم ، جعله ذلك يوما رائدا لا لحركة رهبانية وحسب ، بل قائدا جماهيريا فذاً فى القرن الخامس .

وفى بعض الاحيان كان الرهبان يبنون الأساسات بالحجارة الكبيرة والحوائط بالطوب اللبن النى أو القرميد (المحمص بالحرارة - الطوب الاحمر) . ونظرا لضعف الامكانيات فكثيرا ما وجدنا ان الرهبان يستخدمون القباب وانصاف البراميل والحنيات فى عمل الاسقف لان كلها مصنوعة من الطوب بأنواعه [٢٦] .. وهذا أرخص وأوفر من الخشب .

والحقيقة انه برغم ان البنائين الرهبان لم يجدوا امامهم غير الطوب ليبنوا به قلاليهم ، فأن هذا جاء لمصلحتهم بعض الشئ ، لان تعاقب الحرارة والبرودة

---

٢٥ - بحث لرسالة ماچيستير سنة ١٩٧٤م عن تصميم الكنائس القبطية الارثوذكسية ص ١٦٧ - لوجيه فوزى .

26 - Christian Antiq. in the valley of the Nile - P.27.

الشديدة تفتت الحجر بينما تكسب الطوب صلابة (بالطبع نقصد الأحجار الهشة الغير مهذبة) .

فمثلا بدير الأنبا أنطونيوس بوادى عربه نجد ان المبانى مبنية من الطوب اللبن ، هذا مع ان الأحجار متوفرة هناك اكثر من الطمى اللازم لعمل الطوب ، ولعل السبب فى ذلك هو السبب السابق ذكره .(٢٧)

اما الملاط والمونة ، المستخدم للتبييض - المحارة ، وفى البناء ، فقد تنوع استخدامه تبعا للمنطقة ، ففى بعض المناطق استخدم الطمى كمادة مونة تلصق الطوب ببعضه البعض ،وفى مناطق اخرى استخدمت الاملاح واحيانا الطفلة كما فى وادى النطرون ، واحيانا استخدم تراب الفرن (الناتج بعد حرق الحطب) وبعض الرمال والماء ، وهذا النوع الاخير من الملاط يعد اشد انواع المونة صلابة وقتها .

والقرن الرابع شهد استخدام الوقود الكثير ، وعندما أصبح الوقود فى متناول الجميع سمح ذلك ان يستخدمه البعض فى تحضير " الجير " ، ولهذا وجدنا الرهبان ايضا يستخدمون الجير فى قلاليهم وخاصة فى تبيض الحوائط وصب الأرضيات لما يتمتع به من قدره على عزل الرطوبة والبرودة .

+ قالوا عن الأب اور والأب ثيونورس انهما وضعا طينا فى القلاية (بيضا الحائط بالطين) ، وقالا فيما بينهما . إذا زارنا الله الان ، ماذا نعمل ؟

وبدموع تركا الطين ومضى كل واحد منهما إلى قلايته !

الأبوفثجماتا - أقوال الأباء الشيوخ

وكذلك لوفرة الوقود فى القرن الرابع انتشر الطوب المحمص القرميد واستخدمه الرهبان فى المبانى التى يستخدم فيها الماء بكثرة ، كدورات المياه والاحواض الزراعية خارج القلالى والآبار وايضا فى المطابخ - فكان الطوب اللبن يستخدم فى المناطق البعيدة عن مصادر المياه كالحوائط العلوية التى فوق الأرض،أما الطوب الأحمر ففى المداميك التى تحت الأرض والتى قد يصل اليها

---

٢٧ - فى صحراء العرب والأديرة الشرقية - ص ٨٣ - لحبشى وزكى تاوضروس سنة ١٩٢٩ .

نشع المياه . (٢٨)

حاليا يُستخدم الطوب الأحمر ،أو الطفلى ، أو الأسمنتى ، كما يستخدم الحجر البلوكات المقطوع من محاجر الحجر الجيرى بماكينات خاصة للقطع ، وهذا النوع من الحجر اظهر كفاءة عالية فى العزل الحرارى بالبرية . هذا الى جانب استخدام الأسمنت بانواعه والجبس والجير فى المونة أو الملاط ، مما جعل العمل أيسر وأوفر فى تشييد القلالى عن الماضى البعيد .

+ من المتواتر عن الأنبا أرسانيوس أنه كان يقول : " إذا وضع قالب من اللبن – الطوب النى فى اساسات أحد المبانى ، فإنه ينهار، أما إذا تحول إلى قالب من القرميد ، عن طريق حرقه فى نار حامية، فانه يدعم المبنى كأنه الصخر .

وهكذا هو الحال مع الانسان الجسدانى الدنيوى ، الذى لم ينصهر فى بوتقة التجارب والآلام ، ويصبح حاراً ملتهباً بالايمان مثل يوسف فانه يفشل عند الاختبار أواحراز السلطة ، والواقع أن كثيرين جداً ممن مرت بهم التجارب لم يصمدوا لها بل سقطوا ، ولهذا فمن الخير للانسان أن يعرف أثقال السلطة ، وان يجتاز التجارب ، التي هى بمثابة الدفعة الأولى لسيل عارم من المياه ، كيما يظل راسخا قويا لايتهاوى أو يهتز " .

وكان الأنبا أرسانيوس يستطرد فى مديحه ليوسف البار فيقول :

لقد اثبت باجتيازه لسلسلة التجارب التى سمح بها الرب ، أنه ليس من أبناء هذا العالم على الإطلاق ، وبخاصة فى صموده بمصر ، التى لم يكن بها آنذاك اى أثر لمخافة الرب ! ويوسف الآن موجود

---

٢٨ – فى تصميم الكنائس القبطية الارثوذكسية ص ٥١، ٢١٠

بالفردوس مع أبائه . فلنبتهل إلى الرب أن يهبنا القدرة لاحراز الغلبة على العدو الشرير " !!!

بلاديوس – التاريخ اللوزياكى

٤ - الخشب والحديد:

استخدم الرهبان فى بناء قلاليهم الأبواب والشبابيك والمقاعد المصنوعة من الخشب ، وكذلك استخدموه فى ربط المبانى وفى الاسقف . وقد كان لانتشار اشجار النخيل الفائدة الكبيرة فى وفرة الخشب لهم ، فقد استخدموا العروق والجريد المصنع منه .

وقد بدأ العمل فى العصر الرومانى أى حتى القرن الخامس تقريبا بالاسقف المصنوعة من الخشب وقليل من الاسقف القباب ، إلا أن فى العصر البيزنطى انقلب الحال واستخدمت القباب المصنوعة من الطوب بدلا من الخشب ، ولهذا وجدنا ان القلالى فى عصر المنشوبيات والذى استمر من القرن الخامس حتى التاسع تقريبا (اى فى العصر البيزنطى) كلها بالقباب وانصاف البراميل (٢٩).

ولقد كانت عادة ربط المبانى فى زوايا الغرف بالخشب عادة قديمة ، فقد استخدمها المصريون القدامى قبل الميلاد ، وذلك نظراً لضعف المبانى ، وقد كانت بيوت الفلاحين معظمها من الطوب المدعم بالخشب فى الزوايا (٣٠) .

وكان لدى القديس باخوميوس أب الشركة بأديرته مجموعة نجارين وحدادين وبنائين ايضا ، ولهذا وجدنا القديس باخوميوس يستطيع بناء دير كامل بقلاليه ومبانيه فى فترة وجيزة جدا ، ومما ساعد على ان يظهر عشرة أديرة كاملة لرهبانه منها واحد للراهبات .

واستخدم الرهبان الخشب والزجاج بكثرة نظراً لأن الحديد والمعادن صعب الحصول عليها ، فلهذا ندر استخدام المعادن بالقلالى أو حتى بالأديرة (٣١) .

واستخدم الحديد فى بعض الضروريات لقلته ، كتقوية الابواب الخشبية والمفصلات وعمل خرادتها ، كما استعمل ايضا لرفع المعابر الخشبية (الجنزير) الخاصة بالحصون . واستخدم الحديد فى صنع المسامير الضخمة وأحيانا الأوانى والاوعية والقصعات .

---

29 - Christian Antiqu. in the Nile valley P.31.

30 - Abid. P.18

٣١ - مرشد المتحف القبطى وكنائس مصر القديمة والحصن الرومانى ص ١١٨ - لوديع حنا .

القمص
أبا دير السريانى
دير السريان بوادى النطرون

ثانيا : العوامل الروحية :

تأثير الديانة على العمائر واضح ، فالكنيسة بها الهيكل الذى هو قدس الاقداس ، ولايحق لاحد ان يدخله أو يخدم فيه الا الكاهن ورئيس الكهنة ، هكذا ايضا وجدنا القلاية مقسمة إلى جزئين رئيسيين وهما حجرة معيشة ، وأخرى وهي المحبسة التى هى اهم حجرة عند الراهب فى قلايته سواء صغرت أو كبرت .. هى قدس اقداس لايدخلها الاهو ولا ينام بها الاهو ..

+ لايرقد احدكم على مرقد ليس له – ولايدخل احد منكم إلى موضع رفيقه بغير رسالة أو حاجة . كى لايجد العدو له فينا موضعا البتة !

قوانين القديس باخوميوس

وقد كان لوجود أب واحد يرأس الجماعة اليد العليا فى اقتراب القلالى(أو الرهبان فى نفس القلاية) من بعضها ، ووجودها فى فلك واحد يدور حول هذا الأب .. فمثلا كان الاب سلوانس أبا لاثنتى عشر تلميذا ، وكان كل منهم يعيش فى قلاية منفردة وكان من السهل ان يجتمعوا بأبيهم فى اية لحظة (٣٢).

كذلك وجدنا ان الأخوة الذين عاشوا فى قلالى اسفل صخرة القديس مقاريوس الكبير يتجمعون بسرعة حاملين الجريد بمجرد نزول القديس من عزلته اليهم (٣٣) .

والتلمذة عنصر اساسى جدا فى حياة الرهبان ، وهذا ما ساعد على ثبات الرهبان فى قلاليهم وادراكهم لابعادها الروحية على ايدى أبائهم القديسين وكانت الكنيسة تنتشر حولها القلالى فهى محور الجماعة ويدير الموقف أب الجماعة ، فيبدو الامر كنجوم بأقمارها تعمرها تدور حول الشمس .

أحيانا عاش البعض فى وحدة على مسافة معتبرة عن الاخرين ، وهذا ساعد على انتشار القلالى فى مناطق لم يخطر على بال احد انه سيسكنها بشر ،

---

٣٢ – تاريخ الرهبنة القبطية بالصحراء الغربية – ص ٧٥ – تعريب .

33 - Apophthegmate Patrum - Abba Mcarius - Ch III

الا ان هذا لم يقطع ارتباط المتوحد بأبيه الروحى والكنيسة . وقد عاش القديس بفنوتيوس طوال حياته فى قلاية على مسافة خمسة أميال من الكنيسة (٣٤) .

+ قال الأب بيمن عن بفنوتيوس : فى كل الأيام التى عاشها الشيوخ ، كنت اتردد عليهم مرتين فى الشهر . ولما ابتعدت عنهم مسافة كبيرة ولعدة اميال كنت اكشف لهم كل فكر من أفكارى ، فلم يكونوا يقولون لى سوى هذا :

" حيثما ذهبت ، لاتقم لنفسك وزنا ، فترتاح " !!

الأبوفثجماتا – أقوال الآباء الشيوخ

وليس معنى هذا ان الجميع قد عاشوا فى البداية عيشة مشتركة ، فالذين تجمعوا ، وكمثال حول القديسين مقاريوس الكبير والأنبا بيشوى والأنبا يحنس القصير ، بينما وضعوا انفسهم تحت اشراف هؤلاء الآباء ، إلا انهم قد تجمعوا مثل افلاك مستقلة حول مركزها ، وعلى الرغم من انهم جميعا مرتبطون بهدف مشترك ، إلا انهم لم يعيشوا حياة عامة ، بل كل منهم فى عزلة – نسبيا – بمفرده (٣٥) .

ومن قبل هؤلاء القديسين ، وكمثال أيضا وجدنا القديس أنطونيوس الكبير، يرشد القديس بولا البسيط إلى مغارة تبعد عنه أربعة اميال طالبا منه أن يتوحد بها وبعدما تدرب على يديه لفترة . وهذا بالطبع كان المتبع مع الكثيرين ، ولهذا امتلأ الجبل فى فترة بسيطة بالرهبان راغبى الوحدة وعمرت المغائر والقلالى .

وكان للمحبة دور رئيسى فى انتشار القلالى ، إذ أن الراهب الجديد كان يجد نفسه محاطاً بمحبة الآخرين وفضائلهم ، فكل واحد منهم يريد ترك القلاية الخاصة به له ، أو ان الجميع قد يشتركون فى بناء قلاية جديدة له ، وكان عند عودته من القداس يوم الاحد يجدها وقد امتلأت بأشياء احضرها له اخواته

---

34 - Apophthegmate Patrum - Abba Paphnatius - Ch II.

٣٥ – تاريخ الرهبنة القبطية بالصحراء الغربية – ص ٧٥ – تعريب .

الرهبان دون ان يعلنوا عن انفسهم .

بل لقد تكون فريق خاص بالبناء ، مهمته هى بناء القلالى ، وهذا ما وجدناه فى مؤسسة القديس أمون بنيتريا ، وكذلك مع الأب أور الذى من طيبة .

واهتم الرهبان أيضا بحياتهم الروحية داخل القلالى ، واهتموا بتوفير المناخ والجو الملائمين لممارسة العبادة بها [٣٦] ، فمثلا ، قاموا بعمل فتحات علوية بالقلالى (خاصة بالمحبسة) حتى لاينشغل المصلون بما يجرى خارج القلاية ، هذا علاوة على ان الضوء الخافت ينصح به الأباء عند الصلاة ، لانه يوحى بالرهبة والخشوع [٣٧] .

ولعل انحسار القلالى داخل الأسوار غير الكثير من المعانى الجميلة التى كانت تتمتع بها القلالى قديما ، الا أن اعمال المحبة لازالت كما هى لم تحدها أسوار أو تخنقها إضطهادات أو إنحسارات ! .

[أنظر مفهوم القلاية الروحى ، وكيف ان الثبات فى القلاية ساعد أيضا على ثبات الرهبان عموما على الطريق] .

---

٣٦ - تصميم الكنائس القبطية - ص ٥٢ - لوجيه فوزى .

٣٧ - تأثر الاقباط بطرق الانشاء الفرعونية ، ومنها اخذ الرهبان هذه الطرق ، فبالنسبة للنوافذ والفتحات الموجودة دائما اعلى الحوائط أو فى القباب فهى مأخوذة من الفراعنة الذين كان من عاداتهم انارة الأماكن المقدسة والمساكن بواسطة الأضاءة العلوية .

أنظر كتاب الفن القبطى والتأثيرات الفرعونية - أعداد وتعليق القس صموئيل السريانى وهو ترجمه الكتاب :

L' Art Copte influnces Egyptiennes- Badawy.

الفصل الأول

القلالى والمساكن فى العصور الرهبانية الأولى

لم تبدأ القلاية بصورتها المعروفة لدينا الآن ، أو أنها اصبحت صومعة كبيرة فى غضون أيام قلائل بل انها قد نمت وتطورت بمرور الوقت . واتخذت القلاية أولا اشكالا عديدة بداية من المقابر والأكواخ .. وحتي القلاية النصف محفورة والنصف مبناه ، ونهاية الى القلاية التى كلها مبناة ..إذ كانت هناك نواة قامت عليها بنية القلاية الأساسية ، ومنها مايلى :

أولا : المقابر كمساكن رهبانية The Tombs

اتخذ كثير من المتوحدين والرهبان المقابر مسكنا ، كما اوضحنا ، فقد لجأ اليها الكثيرون من عامة الشعب سواء للصلاة فيها أو للأحتفال بأعياد الشهداء .. وبالطبع فإن المقابر كانت واسعة وتتكون من دهاليز واورقة وحجرات حقيقية وأخرى وهمية لاخفاء التوابيت (الذهبية) ، وقد كان هذا هو الأسلوب الفرعوني القديم السائد فى تشييد القبور وحفرها ونحن نعلم عظيم الاهتمام الذى كان يوليه الفراعنة للمقابر والدفن والتحنيط الخاص بالموتى [٣٨] .

ولقد وجدنا العديد من الرهبان المتوحدين الأوائل يعيشون فى مقابر . فلقد عاش القديس أنطونيوس فى مستهل حياته الرهبانية فترة فى المقابر . اذ كانت العادة ان كل من اراد التأمل والنسك فعليه ان يعتزل كمتوحد قريبا من بيته أو قريته ، وهكذا اقام القديس أنطونيوس فترة قرب قريته وبيته ، وكان كلما سمع بوجود ناسك عظيم ينطلق فى اثره مفتشا عنه كالنحلة الحكيمة التى تبحث عن زهرة لتستنشق رحيقها .

وإذا اراد الأنبا أنطونيوس التضييق على نفسه قصد القبور الموجودة بعيدا عن القرية بقليل ، وماذا حدث ؟ ... يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى سرده

---

٣٨ - كانت القبور الفرعونية تحمل الكثير من هذه الصفات كالاروقة والدهاليز والحجرات والابواب ، هذا إلى جانب انتشارها احيانا بالجبال وذلك لاخفائها عن اعين اللصوص نظرا لما تحويه من ذهب وادوات اخري كثيرة لاعتقاد الفراعنة بعودة الميت الى الحياة مرة اخرى (البعث) .. ولهذا لجأ اليها المصلون الاقباط أو النساك لوسعها وهدوئها .
Death in Ancient Egypt - Security of the Tomb p.74-by Spencer.

لحياة هذا القديس الرائعة :

[طلب من معارفه ان يجلب له خبزا لايام عديدة ، وطلب من صاحبه أن يغلق الباب دونه وبقى فى الداخل وحده . وعندها لم يحتمل العدو الشيطان هذا الشئ ، لانه خاف من ان يملأ الصحراء شيئا فشيئا بنسكه ، فدنا منه فى احد الليالى مع جمهرة من الشياطين ، وجرحه كثيرا حتى انه سقط على الأرض لايقوى على الكلام والحركة من العذاب .. وبعد ان وجده صاحبه هكذا . اخذه إلى الكنيسة بالقرية واتى كثير من اقاربه .. جلسوا بجواره وكأنهم بجوار ميت .

لكن أنطونيوس عاد الى وعيه بنصف الليل ، فرأى الجميع نياما ، ماعدا صاحبه . فأمره ان يحمله إلى المقابر مرة اخرى .. فذهب به واغلق عليه الباب كالعادة . لكنه لم يقو على الحركة بسبب جراحاته ، فاخذ يصلى . ولما انهى صلاته صرخ بقوة :

" أنا هو أنطونيوس ، انا هنا . اننى لن اهرب من جراحاتكم ، حتى لو اصبتمونى اكثر ، فلاشئ يفصلنى عن محبة المسيح "] (٣٩) .

+ ذهب أخ إلى الأنبا بيمن مسترشدا وقال له :

" ماذا افعل ياأبى لاتخلص من خطاياى " ، فترفق به الشيخ وقال ناصحا" حين قصد ابراهيم أرض الموعد ، اشترى لنفسه قبرا ، وعن طريق القبر ورث الأرض " .

فأستوضحه الأخ بما يعنيه بهذا القبر الذى اشتراه ابراهيم .

فأجابه الشيخ قائلا : " البكاء على خطاياك هو القبر المؤدى لأرض الموعد ، أرض الخلاص من هذه الخطايا " !

بلاديوس – التاريخ اللوزياكى

---

39. E.A.Wallis Budge - The paradise of the holy fathers- Vol. I.P.14

وكذلك الأنبا بولا كان يعيش فى قبر وقبل ان يدلف إلى الصحراء الشرقية(٤٠) وكم من النساك والرهبان كانوا فى سفرهم من منطقة لاخرى يقضون ليلتهم فى قبر يصادفونه .

والمقابر كانت تحفر فى الصحراء فى منطقة طيبة (العليا والسفلى) أى بوسط وجنوب مصر ، ولدينا أمثله عديدة لقبور هذبها متوحدون لكى ما تلائمهم فى معيشتهم .. فهم أولا يضيفون غرفة خارجية أمام المدخل ، ثم بإضافة بعض الحوائط الداخلية ، وعمل بعض التعديلات الاخرى والتى يسمح المكان بتنفيذها ، يصبح المكان جاهزا للحياة الجديدة.

ويمكن متابعة هذه الاضافات والتعديلات فى منطقة العمارنة Amarna ، وكذلك بالشيخ سيد وبنى حسن وابيدوس ، وغيرها (٤١) . ولعل ابرز مثال هو فى طيبة العليا Thaban بالاقصر فى دير ابيفانيوس Epiphanius ، ولقد امكن تحديد مراحل نمو القبر وحتى اصبح قلاية كاملة . وتتلخص فى الاتى :

- تجمع كبير لقلالى حول مقبره داجا Daga من الأسرة الحادية عشر قبل الميلاد. - وهذه المقبرة هى النواة الأم (مسكن المنشئ (أى منشئ الدير الأول- وليس بالضرورة ان يكون ابيفانيوس) .

- هذا القبر يتكون من رواق بسبعة مداخل ، المدخل الأوسط يفتح على دهليز وينتهى إلى غرفة مربعة متساوية الأضلاع .

- المتوحد الأول الذى كان بهذا القبر تخلص من السرداق ولم يبقى غير بعض اطلاله ، كما نقل بعض الأحجار ووضعها بين العواميد بالقبر ، واصبحت بهذا حوائط فاصلة اضافية على القبر وشكلت حجرات منفصلة أيضا .

- فى مواجهة ذلك بنى عدة حجرات اخرى ، والسقف الموجود هو الأصلى الطبيعى .

- ويبدو ان المدخل بشكلة الجديد اصبح مكاناً للأجتماع ، فانه توجد مصاطب من الطوب على كل الجوانب وتبدو منخفضة قليلا .

---

٤٠ - الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا - للقمص لوقا الانطونى .

41- Monastic Archaeology in Egypt - P.103-by C.Walters

- الأرض مغطاة بالحجر الرملى وهو نفس مادة حجر القبر . ومعظم الحوائط الباقية بنيت من الطوب ، وكذلك الحنيات الموجودة بالحوائط وخاصة الشرقية منها .

- من هذه الوحدة النواة انتشرت بقية الوحدات وظهرت المنشوبيات .

+ بينما كان الأب بيمن يطوف فى مصر ، صادف أمراة جالسة عند قبر تبكى بمرارة ، فقال : إذا انسكبت كل مناهج هذه الدنيا ، لاتقدر ان تدفع النوح عن نفس هذه المسكينة .

هكذا الراهب ، يجب عليه ان يقتنى النوح فى قلبه على الدوام!!

الأبوفثجماتا - أقوال الأباء الشيوخ

ولقد كان لإختيار الأقباط الأقدمين للمقابر وفى الجهات الصحراوية الرملية البعيدة عن نشع وفيضان مياه النيل ، السبب الأساسى فى حفظ الأثار القبطية فى بدء المسيحية ، وعن طريق المقابر حفظت القلالى بل وكل ما تحتويه هذه المقابر والقلالى ، وكما حفظت جثث الموتى بهيئة سليمة كذلك أدوات الرهبان وبحيث يمكن دراستها .

ولقد كان أيضا ، ومنذ عهد تحتمس الأول أن أخذت المقابر تتسع وتمتد متوغله فى باطن الأرض وتزداد روعة وفخامة بما يتسق وما أصبح للملك من سلطان وما اجتمع بين يديه من ثراء وافر ، وقد بلغت غايتها فى عهد الرعامسة إذ اصبحت تحتوى على كثير من الدهاليز والدرج والقاعات كل منها يتبع الاخر فمثلا مقبرة سيتى الأول من اعظم المقابر الملكية من حيث طرازها ونقوشها وهى ايضا تمتد منحوته إلى مائة متر فى جوف الصخر . وكل هذا أدى إلى استخدا الرهبان والنساك لهذه المقابر (٤٢) ، ولسبب آخر ايضا ؟ :

---

(٤٢) مرشد المتحف القبطى وكنائس مصر القديمة والحصن الرومانى - ص ١٩ لوديع حنا ١٩٣١م . وكذلك انظر ، العمارة فى مصر القديمة للدكتور محمد انور شكرى - ص ٤٠٢

فلقد كان ينظر النساك للقبور نظرة ذات معنى ، فالناسك - أو الراهب عامة - مات عن العالم ، وبالتالى فهو غريب عنه ، كما ان هؤلاء الذين بالقبور موتى عن العالم وبالتالى اصبحوا غرباء عنه . والراهب دائما يضع الموت نصب عينيه ، فذكر الموت يبعث على الزهد والأعراض الكامل عن المشيئة الذاتية - اى الطاعة التى هى احد اركان النذور الرهبانية ، وكما أن مكان المقابر حيث يدفن الأموات يسمى ديراً ، هكذا المكان الذى يسكنه الرهبان الذين ماتوا عن العالم يسمى ديرا ايضا .

وكانت القبور توضع - كالعادة الأن - كما فى مداخل أو مخارج المدينة ، كعلامة تذكير لداخلها أو من يخرج منها : إن الموت هو النصيب الأخير الذى سيحوذه وينالة فى النهاية مهما كانت اعماله ، وهاهو القبر أمامه فيه مسوى من قبله ، بل ومن بعده ايضا .. بهذا الشكل صارت القبور عظة صامتة لا للعلمانى فقط بل وللناسك ايضا .

أخيرا ، وليتضح لنا مفهوم الموت عند الآباء ، وعلاقته بالراهب وخلاصه ، قال القديس مقاريوس الكبير لأحد الأخوة ، فى بيان عملى ، فى سؤاله عن الخلاص :

أن عليك أن تكون كالأموات فى القبور ؟!

+ زار احد الاخوة الأب مقاريوس المصرى الكبير وقال له : يا أبت قل لى كلمة ، كيف اخلص ؟ ..

اجابه الأب : أمضى إلى القبور واشتم الموتى . فمضى وشتم ورجمهم بالحجارة . ثم عاد واخبر الأب بما فعل . فقال له : ألم يقولوا لك شيئا ؟

قال الأخ : كلا ياأبتى .

قال له الشيخ : أذهب فى الغد وامتدحهم . ولما صار الغد ، مضى إلى القبور ، وامتدح الموتى قائلا : ايها الرسل والقديسون

الأبرار .. وعاد إلى الأب واخبره بما فعل .

فقال له الاب : اتفهم الأن كيف انك سخرت منهم فلم يجيبوك ، وامتدحتهم، فلم يكترثوا لك ..

هكذا أنت ، إذا اردت ان تخلص ، عليك ان تكون كالأموات فلا تكترث لمديح الناس أو زمهم ، تماما كما فعل الأموات وأنت ، ان فعلت هذا ، تخلص !!!

الأبوفثجماتا – أقوال الآباء الشيوخ

ثانيا : الأكواخ كقلالى رهبانية The Huts

فكرة الكوخ ابسط ما تكون ، فما كان على الناسك إلا أن يصعد ببعض الطوب أو الاحجار فوق بعضها البعض ، وان شاء يمكنه ان يصنع له بعض النوافذ لادخال النور وليغير بعض الهواء . وإذا اراد الناسك ان يغلق الكوخ فما كان عليه إلا أن يرص بعض الجريد أو الألواح الخشبية إلى جانب بعضها البعض ويسمرها بالعرض فى خشبتين اخريتين ، أو يربطهما بالحبال وهذا هو الباب ، وكذلك بالنسبة للسقف الذى يضاف عليه بعض الردم .

والكوخ ببساطة هذه هو نواة القلاية عموما ، وبتطوره صارت القلاية فى صورتها المبدئية ؟ فهو عدد من الحجرات (كما بالكوخ)تشبه بعضهما البعض ، وان كانت المحبسة- غرفة الصلاة - اصغرهم جميعا .

الاب اور :

وكم من شيوخ ونساك عاشوا فى أكواخ كهذه ، فالأب أور الذى من طيبه فعل هكذا :

" فقد اسرع إلى البرية الأقرب حيث عاش أولا كمتوحد وبنى لنفسه كوخا".(٤٣)

وهذا الكوخ الذى اقتناه الأب أور وبنفس الاسلوب المشروح عاليا ، صار نواة لقلالى أكواخ اخرى كثيرة لمن تبعوه ولسهولة الأمر بنى أكواخهم بسرعة ، وفى يوم واحد :

" وهذا الرجل على أية حال ، كان رائع الصيت بين الكثيرين من الآباء الأخرين احتى انه عندما جاء اليه عدد كبير من الرهبان ، دعا جميع من كانوا يعيشون بالقرب منه ، وبنى قلالى لهم فى يوم واحد ، فكان واحد يناول الملاط ، واخر الطوب وثالث يجلب الماء ورابع يقطع الأخشاب . ولما كملت القلالى ، كان هو بنفسه يرى احتياجات الوافدين الجدد " (٤٤) .

---

(٤٣) الهوستوريا موناخورم : ص ٨٦ - الاب أور من طيبة - تعريب .

(٤٤) نفس المرجع السابق ذكره : ص ٨٨

القديس باسيلوس

والقديس باسيليوس الكبير كان ببلاده قيصيرية يبحث عن نساكها المشهورين - اذ انه لم تكن الرهبنة قد ظهرت بعد فى منطقة آسيا الصغرى Asia Minor . فزار مصر ، وذهب أولا إلى الأسكندرية والحدود المتاخمة لها ، وزار صعيد مصر وبعض المدن الاخرى .

واثار إعجابه شدة زهد وتقشف هؤلاء النساك المنتشرين فى كل ربوع مصر، وتعلم على ايديهم كيف تكون الرهبنه .. واثار دهشته ايضا فيهم ضبط النفس واحتمال النسك الشديد ، بل ومقدرتهم على الصوم والسهر واحتمال العرى والبرد .

ظل لمدة سنتين يدرس التعاليم الرهبانية ، وعندما رأى كيف يعيشون فى أكواخ ومقابر ومغائر منفردين عن العالم ، لم يطق صبرا ، فعندما عاد الى قيصيرية ، بدأ يفكر فى انسب الأماكن ليتوحد ، سائرا على خطا هؤلاء العمالقة الأفذاذ .. باحثا عن مكان يصلح لينفرد فيه متنسكاً .

وسرعان ماوجد ضالته المنشودة ، التى جاءت تحقيقا لاحلامه وتجسيما لخيالاته وبنى فيها كوخا أسوة برهبان مصر ، ويصف حياته والموقع لصديقه أغريغريوس الكبير فيقول :

" لقد ارشدنى الله إلى منطقة تتفق تماما وطريقتي فى الحياة . انها حقا ماكنا نتوق اليه فى احلام يقظتنا . إن ما كان الخيال يظهره لى بعيدا أصبحت اراه الأن امامى . جبل فسيح عال تكسوه غابة كثيفة ، ترويها فى الشمال جداول دائمة الجريان ، وعند سفح الجبل يمتد سهل رحب كثير الفاكهة نتيجة الأبخرة التى ترطبه . أما الغابة المحيطة حيث تتنوع الاشجار وتزدحم ، فهى تعزلنى عن العالم كما فى قلعة حصينة ....

والبرية محاطة بواديين ضيقين عميقين .. على أحد جانبيها ينحدر مجرى الماء بقوة من الجبل مكونا حاجزا من الصعب عبوره . وعلى الجانب الأخر حافة فسيحة تجعل الأقتراب منه أمرا صعبا . ويقع كوخى على القمة .. اكثر ما يبهجنى هو السكون الذى يخيم على المكان .. كيف استبدل هذا المكان بآخر"(٤٥) .

---

(٤٥) القديس باسيليوس الكبير - حياته - نسكياته - قوانينه - ص ١١ - اصدار دير السريان .

وصار هذا القديس فى عزلته هذه نواة تجمع حولها النساك للتوحد فى البنطس والكبادوك .. وامتد الأمر وتأسس على يديه نظام حياة الشركة الرهبانية فى هذه الأماكن .

+ ماهو اكثر غبطة من مشابهة الملائكة على الأرض ؟! .

فى بدء النهار ينهض الانسان للصلاة وتسبيح الخالق بالترتيل والاغانى الروحية ومع شروق الشمس يبدأ العمل مصحوبا بالصلاة اينما ذهب مملحا كل عمل بالتسبيح .

ان سكون الوحدة هو بدء تنقية النفس ، والعقل إن لم يضطرب لاى شئ ، ولم يتشتت عن طريق الحواس فى امور العالم ، يرتد إلى ذاته ويرتفع إلى التفكير فى الله . !

القديس باسيليوس الكبير

وفى مناطق عديدة بمصر ، ومع بزوغ فجر الرهبنة ، وجدنا الأكواخ القلالى وقد تنوعت أشكالها وأبعادها ، إلا ان مسكن القديس يوحنا الاسيوطى يعتبر النموذج العملى والفعلى لقلاية الراهب . فقد كان له قلاية من ثلاث حجرات ، واحده لاحتياجاته الشخصية واخرى للأكل والعمل ، وثالثه للصلاة - أى المحبسة .[٤٦]

كما كان لهذا المسكن نوافذ ليرى بها زائريه ، وكان يباركهم منها ايضا بل ويحيى الذين يأتون اليه ويتحدث مع كل منهم عن شئونه الخاصة ، إذ انه كان يملك موهبة النبوة ومعرفة الغيبيات [٤٧] . ولقد تميزت قلالى منطقة وسط مصر بشكل ونموذج قلاية هذا القديس .

+ كل من لايزل العالم تماما وكلية ، بل يعدو وراء اهتماماته ، يعانى من عدم الاستقرار الروحى . فانشغالاته ، إذ تكون جسدانية

---

46 - Monastic Archaeology in Egypt - P.102 - by C. Walters

٤٧ - الهوستاريا موناخورم - ص ٧ - تعريب .

وارضية ، تشتت ذهنه لمشروعات كثيرة ينشغل بها ، وعندئذ إذ يستغرق فى صراعه ضد الأهواء ، فلايمكنه ان يرى الله .

ومع ذلك لاينبغى ان يحاول المرء ان يستكشف هذه المعرفة ، خشية ان يحصل المرء على جزء صغير منها ، واذ هو غير مستحق لمثل هذه العطية ، قد يظن انه ادركها جميعها ، وهكذا يسقط تماما فى الهلاك!

القديس يوحنا الأسيوطى

تطور نموذج نيتريا :

نرى ان القديس أمون عند بداية اعتزاله بصحراء نيتريا كان يعيش فى كوخ بسيط عبارة عن قلاية من غرفتين [٤٨] . وعندما ازداد الرهبان بصورة ملحوظة ، أدى ذلك إلى خروج القلاية من شكلها المعروف - أى من حجرتين أو حتى ثلاثة - بشكل اخر مختلف تماما ، فالمؤرخ روفينوس الذى زار نيتريا سنة ٣٧٣ م يقول :

" ثم أتينا إلى نيتريا ، أشهر جميع أديرة مصر ، على مسافة أربعين ميلا من الأسكندرية وقد أتخذت شهرتها من المدينة المجاورة ، حيث يجمع فيها النطرون . واعتقد انها أخذت هذا الأسم لان عنايه الله قد سبقت فرأت ان هذه الأماكن ستغسل خطايا الناس وتُمحى مثل الأقذار التى ينظفها النطرون .

فى هذا المكان هناك حوالى خمسون مسكنا أو ليس اقل من ذلك بكثير ، متقاربة من بعضها وتحت اشراف أب واحد ، ويعيش فى بعضها ، كثيرون معا ، وفى البعض الاخر قليلون معا ، وفى البعض الثالث يعيشون أخوة فرادى .

على الرغم من انهم مقسمون فى مساكنهم الا أنهم متحدون معا منظمون فى الايمان والمحبة . وهكذا ما أن اقتربنا إلى هذا المكان ، وأدركوا ان أخوة أجانب

---

48 - Ecclesiastical history of Sozomen - N P.N fothers - Vol . 2 -P.106 - IV.22
ويقال أيضا ان الغرفتين كانتا من القباب وان لم يؤكد ذلك .

قد وصلوا ، حتى اندفعوا من قلاليهم مثل أسراب النحل ، وهرعوا لملاقتنا بأبتهاج ورشاقة " [٤٩].

بهذا تغيرت الأكواخ من شكل إلى اخر . فمن السكن داخل قلالى صغيرة ذات غرفه أو غرفتين أو ثلاث ، تحول الأمر إلى مساكن أو وحدات . وقد تكونت كل وحدة من هذه المساكن بعدد من القلالى يلاحق بعضها البعض ، ويسكنها عدد متغير من الرهبان . وقد احيطت كل واحدة منها بسياج غير مرتفع من الطوب اللبن . ولقد سكن الوحدة الأولى من هذه الوحدات القديس أمون وجماعته وتلاميذه [٥٠] .

واخذت هذه الوحدات أو المساكن فى النمو ، إذ كلما ازدحمت وحدة من هذه الوحدات بالرهبان ، تأسست إلى جوارها وحدة اخرى من القلالى ، وهكذا حتى اصبحت خمسين ، تختلف كل منها فى عدد رهبانها وقلاليها [٥١] . ومع الوقت وصل عدد الوحدات الكبيرة فى هذه الجماعة سبعاً ، واشرف على تدبير كل وحدة منها قس ، وهذا فى وقت لاحق للقديس أنبا أمون [٥٢] .

وأهم ما ميز هذه الوحدات هو وجود فريق البناء ، ومثل هذا الفريق من العمل ، كان على مايبدو معتادا أيضا فى نيتريا ، فقد اعتاد القديس أمون - بعد ذيوع صيته - ان يدعو سائر جماعته ، عندما يأتي أعضاء جدد ، فيعطى مهمة إحضار الطوب لاحدهم ، والماء لاخر ، فيكملون بناء القلالى العديدة فى يوم واحد [٥٣] .

مهما يكن من أمر فإن هذه القلالى أو الأكواخ لم تختلف كثيرا عن منازل

---

٤٩ - الهوستوريا موناخورم - ص ١٥٩ - تعريب .

٥٠ - دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية - ص ١٢٨ - حكيم امين .

٥١ - ذكر بلاديوس ان رهبان منطقة نيتريا وصل عددهم إلى خمسة الاف راهب ، منهم ستمائة متوحد بكيليا . وكان ذلك اثناء زيارته لصحراء مصر الغربية سنة ٣٩٠ م . وهذا العدد ضحى بزيادة قدرها الفا راهب ، وفى غضون عشرين عاما فقط عما ذكره روفينوس سنة ٣٧٣ م بأن تعداد نيتريا كان ثلاثة الاف راهب فقط .

Budge , L.His - Vol . 1 - ch. VII - p. 99

٥٢ - دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية - ص ١٢٨ - حكيم امين .

٥٣ - الهوستوريا موناخورم : ص ٣٤ - تعريب .

الفلاحين بمصر ، فلم تكن مرتفعة عن الأرض ، كما بنيت من طوب لبن خشن وسقفت بأغصان النخيل .

ولنلاحظ ايضا ، أنه لم يكن هناك قانون واضح لاختيار أماكن إقامة هذه الصوامع أو القلالى أو الوحدات سواء فى نيتريا أو أى منطقة اخرى ، فان ظروف البيئة ورغبات الشيوخ الرهبان هى التي حددت المكان ، ولهذا صار هذا الأختيار نوعا من الطاعة من قبل التلميذ لمعلمه . ولعل أكبر مثل بارز أمامنا هو الأنبا أمون اب رهبان نيتريا الذى فى تواضع جم سأل القديس أنبا أنطونيوس عن المكان الذى ينبغي فيه لراغبى الوحدة بناء قلاليهم ، فأختار له القديس أنطونيوس المكان وصلى فيه ووضع خشبة فوقه بعلامة الصليب [٥٤] . وهذا المكان هو صحراء " كيليا " ، والتى انتهج فيها المتوحدين أولا نموذج قلاية القديس أمون الأولى ذات الغرفتين[٥٥] .

+ ذهب الأبنا بيمن ، وهو منزعج ، إلى الأنبا أمون ، يشكو اليه شقيقه بوسيس الراهب ، لشدة تعلقه بأخوة يقيمون خارج الدير، وكثرة تردده عليهم ، فقال له الأنبا أمون مؤنبا : " مازلت يابيمن متعلقا بحياة هذا العالم ، فعد إلى قلايتك وعش فى تأملاتك ، وارتفع بفكرك نحو السماء ، وخاطب نفسك دائما قائلا ، ها قد مر عام عليك يانفسى وأنت داخل القبر !!

بلاديوس التاريخ اللوزياكى

قلاية أديرة الشركة :

القلاية فى أديرة الشركة كان لها وضعها المميز ، إذ انها تحددت باعلان الهى.فالقديس الأنبا باخوميوس أب الشركة كان يبني القلالى لرهبانه بحيث

54 - Apophethgma.Ptatrum, Antony, (34)
55 - Budge - laus . His. - Vol 1 - ch VIII .

تحتوى بداخلها على ثلاثة رهبان ، هذا بحسب ما أرشده الملاك به [٥٦] .

ولقد سكن كل قلاية ثلاثة رهبان ، وكل أثنتى عشر قلاية تكون بيتا ، وكل أربعة بيوت تكون قبيلة ، وكل عشرة قبائل تكون ديراً . ويدير مجمع الأديرة الرئيس الأعلى الذى هو الأنبا باخوميوس .

والقديس أنبا باخوميوس أقام القلالى بأديرته فى منطقة طبانسين [٥٧] ، والتي تشبه الأكواخ إلى حد بعيد ، ومعظم مبانى الدير من الطوب والطين ، وقد كان يحمله على ظهره الى موقع البناء بنفسه مثله أى راهب اخر . وقد اقام هذا الصرح والبناء العالى الرهبان بأنفسهم فكان من بينهم البناؤون والحدادون والزراعون والنساجون والجمالون بل والخبازون والمعلمون ايضا .. هذه الفئات التى تساهم فى تكوين مجتمع كامل - أى شركة .

وتشبه هذه القلالى الى حد بعيد قلالى الأديرة الحالية - الا انه الأن لايعيش بالقلاية غير راهب واحد - هذا إلى جانب الكنائس والحصون والمخابز ، أيضا بجانب القلالى .

ولم تختلف قلالى أديرة الشركة التى تتبع الأنبا باخوميوس عن قلالى أديرة القديس شنوده [٥٨] رئيس المتوحدين ، هذا من ناحية مفهومها الروحى كقلاية فى دير شركة .. لكن كان الإختلاف فى نوعية ومادة البناء . فقد استعان الأنبا شنوده بحجارة المعابد وحجارة المحاجر القريبة منه . وللاسف الشديد لم

---

٥٦ - الوصايا التى تسلمها القديس باخوميوس من الملاك عددها ستة واختصت بصلاة ومأكل الرهبان ونومهم وتقسيمهم ودرجاتهم ومساكنهم ، وكانت الوصية الثانية خاصة بالقلالى :
" عليك ان تقيم قلايات منفردة فى الفناء واجعل كل ثلاثة يسكنون معا فيها " .
انظر كتاب حياة الشركة الباخومية - ص ٢٧١ - للقمص اشعياء ميخائيل . وقد ذكر بلاديوس هذه القوانين الست فى تاريخه اللوزياكى - وانظر ايضا ماكتبه بلاديوس عن رهبان طبانا فى نفس الكتاب :
Budge - lus. His - Vol 1 - P.283

٥٧ - طبانا ، طبانسين ، طبانيه ، تانبيس - مترادفات لكلمة واحدة ، ومعناها نخلات ايزيس لان هذه القرية كانت فى العصر الفرعوني مكرسة للألهة ايزيس وهى بمنطقة دندرة بمحافظة قنا بأعالى الصعيد .

٥٨ - اصل اسمه مصرى قديم معناه " إبن الله " .

يتبقى شئ من قلالى هذا الدير ، فالموجود الأن سور كبير فيه الكنيسة الرئيسية[٥٩] .

+ فلنتقبل هذه الأسرار بكل شكر ، وننطلق إلى قلالينا بكل فرح وبهجة جزيلين ، بدون ان نسبب اى شك فى كل تصرفاتنا لكل من يرانا .. لنمقت كثرة الكلام . لان هذا شأن المتهاونين . لنصنع بالعكس غذاء الحياة لنا وهو كلام الله كما هو مكتوب :

" المرء لا يعيش بالخبز فقط بل يعيش بكل كلمة تخرج من فم الله . لنكن اغنياء فى الامور التى وعيناها فى القلب ، فالذى لايحفظ كثيرا ليحفظ على الاقل احد عشر مزمورا ، والذى لايدرس طيله الليل ليتلو عشرة مزامير أو خمسة غيباً .

وبالنظر لمن ينهض للتلاوة اثناء الليل ، فالذى معه فى القلاية ويلبث نائما ولاينهض للتلاوة اثناء الليل ، يلزم ذلك ان يهتم بنفس هذا ،فيقرع باب غرفته لكى يوقظه ليقوم بالهذيد فى مزاميره قبل الذهاب إلى الكنيسة ، وان لم ينتبه يناده باسمه من خارج حتى ينهض ويباشر الصلاة !

القديس أنبا شنوده

رئيس المتوحدين

---

٥٩ - تاريخ الرهبنة الديرية فى مصر - ص ١٩٢ - رؤوف حبيب .

ثالثا : المغائر The Caves

يبدو ان هذا النوع من المساكن الرهبانية هو أول مسكن للنساك ، وليس للنساك فقط .. فكثيرا ما استخدم المؤمنون الأوائل الكهوف والمغائر ككنيسة يقيمون فيها صلواتهم بعيدا عن أعين مضطهديهم من رجال الدولة الرومانية .. ولهذا كثيرا ايضا مانجد كنائس بشرقياتها وحنياتها وهياكلها كاملة داخل بعض المغائر المنتشرة فى جبال وسط وجنوب مصر الشرقى .

وبالنسبة للنساك والمتوحدين ، كان الكهف والمغارة هما مأوى طبيعى أوجدته الطبيعة لهم .. وكثير منهم لجأ إلى هذه القلالى الطبيعية ، وما كان عليهم إلا اضافة بعض الرتوش البسيطة (كصنع باب للمغارة أو فتح نافذة) ويصير المكان صالحاً للاستعمال.

والمغارة قد تمتد فتحتها إلى عدة امتار ، وقد تصل أحيانا إلى اقل من المتر، وبهذا يمكن سدها بحجر أو بباب من الخشب . وأحيانا اخرى نجد ان المغارة قد يمتد طولها وبحسب طبيعة الصخر فيصل إلى عشرة امتار ، وكذلك بالنسبة لعرضها . إلا ان المغارة سواء اتسعت أو ضاقت ، هى مكان مغلق سئ التهوية ، فهو بلا فتحات داخلية تسمح بالتهوية وتغير الهواء ، وكذلك لم يكن هناك مجال لانارته – ليلا أو نهارا – إلا بالمصابيح .

وبرغم هذا وجدنا بعض الأباء القديسين ، الذين لم يعبأوا بالامر ، وعاشوا فى مغائر مظلمة ليس بها نوافذ على الاطلاق . فالقديس مقاريوس الأسكندري كان له مغارة من بين قلاليه الأربع ، وفيها لم يستطيع ابدا ان يمد رجليه على استقامتها ، كما انها بلا نوافذ ، ويظل فيها فى فترة الصوم فى ظلام دامس ولايقابل احدا .[٦٠] .

والقديس الأنبا بولا عاش فى مغارة بالصحراء الشرقية ، وفى وصف دقيق وجميل يشرح لنا بلاديوس كهف القديس أنبا بولا ، فيقول :

" الكهف الذى اهتدى اليه كان واسعا من الداخل ذو فوهة صغيرة تغلق بحجر كبير ، ويمتاز بنظافته الفائقة وانبساط أرضه ونعومة التراب المنثور عليه ،

---

60 - Budge , Ius . Hisl - Vol. 1 - ch. vi - P.120.

وبجوار الكهف بعض النخيل الذى كان يقتات ثمره ، ويرتدى برداء من الليف يأخذه منه ، وقد وجد بولا بهذا المكان ذاك السلام الشامل والحياه الكاملة التى كان ينشدها ، وعاش قرابة تسعين عاما فى هذه البقعة الموحشة " .

مغارة الأنبا أنطونيوس

وكان بنفس الجبل - أى الجلالة - كهوف اخرى منتشرة هنا وهناك ، وفى هذا يعلق القديس جيروم ، فى سرده لحياة الأنبا بولا أول السواح ، فيقول :

" بهذا الجبل الذى كان فيه القديس أنبا بولا ، كانت تنتشر كهوف أخري ، حيث طرقها كثيرون بالمطرقة والأزميل بحثا عن الفضة والدهب ليسكوا بها النقود . فالكتبة المصريون القدامى يقولون : ان المكان كان منجما سريا فى وقت معاهدة أنطونيوس وكيلوباترا .." (٦١)

وعاش القديس أنطونيوس الكبير فى نفس المنطقة ، ونراه قد اتخذ لنفسه مغارة طبيعية بجبل الجلالة القبلية ، وقد عاش فيها سنى حياته تاركا قلايته الأصلية اسفل الجبل ولم يكن ينزل إلا ليتفقد الاخوة .

ومغارة القديس أنبا أنطونيوس ، هى عبارة عن تجويف طبيعى أو شرخ متسع قليلا بالجبل ، وهي مكونه من مدخل وغرفة استقبال صغيرة . يليهما نفق يؤدى إلى غرفة الصلاة أو المحبسة ، وتوجد شرفة تحت المدخل . وبالطبع سقف المغارة من الحجر الجيرى المتماسك .. انظر الرسم !

61 - N.P.N fathers - The life of the first hermit . Vol . V1_p.301

+ حينما التقى أرخلاوس الكونت بأنطونيوس فى الجبل الخارجى طلب منه أن يصلى من اجل بوليكترا العذراء العظيمة الحاملة المسيح والتي تعيش فى اللاذقية ، لانها كانت تتألم كثيرا من معدتها وجنبها بسبب النسك الشديد ، حتى انها اصبحت عليلة الجسد كله .

فصلى أنطونيوس من أجلها ، أما الكونت فسجل يوم الصلاة . ولما عاد الكونت إلى اللاذقية وجد البتول معافاة . فسألها متي توقف مرضها فقالت له . حينذاك أخرج الورقة التى كتب عليها اليوم الذى رفع أنطونيوس الصلاة من اجلها واراها للجميع فتعجبوا، وآيقنوا ان الرب شفاها من الآمها فى الوقت الذى صلى فيه القديس أنطونيوس وتوسل إلى المخلص من اجلها !

القديس أثناسيوس الرسولى

عن سيرة القديس أنطونيوس الكبير

مغارات الجفتون :

فى منطقة الجفتون على شاطئ البحر الاحمر ، يحكى بعض الصيادين عن وجود مغارات طبيعية فى جزيرة الجفتون .. واتضح بالبحث ان مجموعة من الرهبان اعتادوا ان يعيشوا فى جزر البحر الاحمر شرق الغردقة بالجفتون ، ولكن يبدو أن هذا ليس منذ زمن بعيد . ويحكى ايضا ان قمص (رئيس) الجماعة كان متعودا ان يعيش على جزيرة الجفتون بمغارة ذات شكل قبة من الداخل .

ويقول الصيادون أيضا ان بعض المغارات بالجزيرة يبدو بها اثار لعمل ما داخلها ، ولقد وجدت بعض الأصداف التى تحمل بقايا واثار شموع . ولوحظ ان القمص كان يدير من مغارته بجزيرة الجفتون بقية الرهبان التابعين له ، والذين كانوا يقطنون فى جزيرة ابو منخار Abumunuor والتى تقع غرب الجفتون ،

حيث توجد أشجار عديدة على سطح الجزيرة ، تلك التى يبدو ان الرهبان زرعوها بأنفسهم [٦٢].

المغارة المحفورة :

تكلمنا عن المغارات الطبيعية التي اوجدتها الطبيعية للرهبان ، إذ لم يفكر النساك فى حفر مغارة . ولكن مع ازدياد الرهبان بصورة مطردة ، فكر الأباء فى حفرها ، اذ لقلة المواد كان من السهل حفر القلاية عن بنائها .

وهذا ما حدث مع الأنبا أنطونيوس الذى امر تلميذه الأنبا بولا البسيط ، قائلا :

" يابولس أذهب إلى حافة الجبل وتوحد ، وذق طعم الوحدة " [٦٣] .

حفر القديس بولا فعلا مغارته على بعد أربعة اميال من مكان قلاية القديس أنبا أنطونيوس ، هذا بعد ان قضى عنده أربعين يوما ملازما الزهد الكامل ...

ويبدو ان هذا الامر - أى مرور الراهب بفترة تلمذة قبل ان يتوحد - قد اصبح تقليداً عم بقية الانظمة والمؤسسات الرهبانية التى ظهرت . فالأنبا مقاريوس الكبير كان يرشد راغبى الرهبنة فى منطقة الاسقيط ، إلى أماكن حفر مغائرهم، وهذا القديس نفسه بعد ان انتقل من موقعه بدير البراموس ، عاش فى مغارة (دير أبو مقار الحالى) على تل عال . وعاش تلاميذه أسفل الصخرة . وبعدها انتشر حفر المغائر ولتخدم احتياجات الرهبان كل بحسب ضروریاته .

مثال : مغارات الرهبان فى اسنا Esna :

أ- تقع هذه المغارات غرب مدينة أسنا بحوالى ٦ كيلو متر قرب " نجع حامد سعيد " ، وتنخفض ارضية هذه المبانى عن مستوى الأرض بحوالى ٣٫٥ متر أو اكثر [٦٤] ، وقد نحتت بهذا الشكل من قبل الرهبان لتفادى زحف الرمال والتيارات المحملة بها ، وكذلك للحصول على اعلى نسبة من الدفء شتاءاً [٦٥].

---

62 - Meinardus - Monkis and monast. - P.86 - 87 .

٦٣ - بستان الرهبان - ص ١٧ - طبعة ١٩٦٨ .

٦٤ - عمارة الكنائس والأديرة الأثرية فى مصر - ص ٤١٦ - أعداد الراهب القس صموئيل السريانى

65 - Monastic Archaeology in Egypt - Page 107.

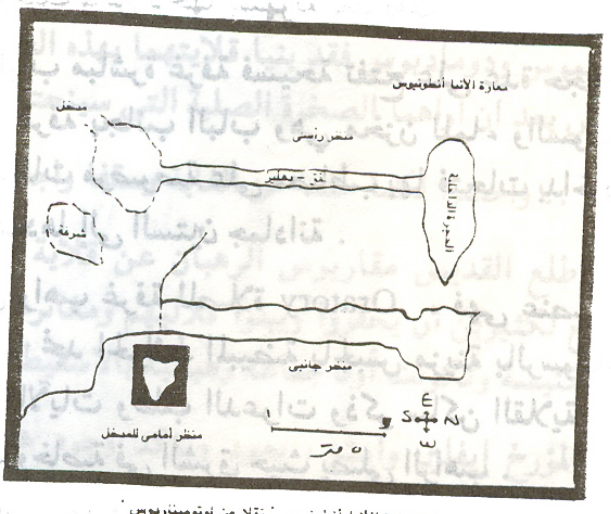

خريطة لمغارة الأنبا أنطونيوس " نقلا عن أوتوميناريوس "

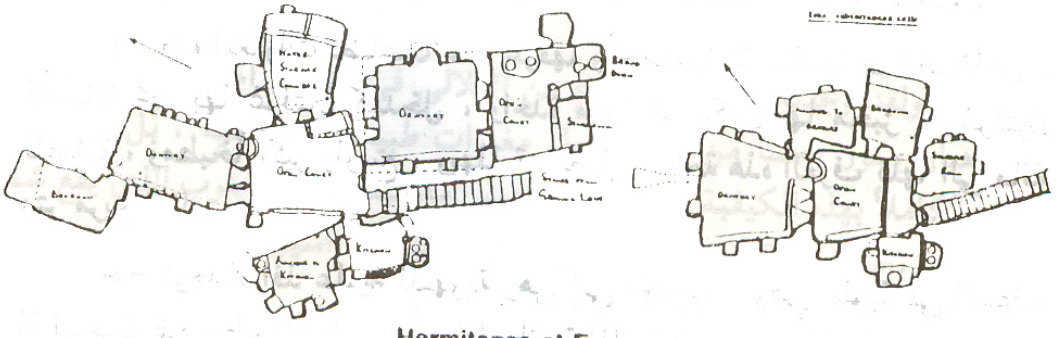

Hermitages et Esna

ب – استخدم هذه القلالى رهبان نظام " النصف وحدة "Semi-anchoritic life – اى نظام الأنبا أنطونيوس – ويبدو ان هذه المغارات كان يسكنها متوحدون ولهم أيضا تلاميذ ، وهذا يتضح من تعدد الغرف الخاصة بالصلاة بالمغارة الواحدة.

جـ- ينزل إلى هذه المغارات بسلالم ، والتى إلى الشرق دائما من المغارات ، ويقابلها حائط صغير اسفل السلالم ، وهو عبارة عن سد يمنع الرمال من الدخول

للمغارة وردمها وحيث يمكن نزحها بسهولة بعد ذلك .

د- بعد الباب مباشرة غرفة فسيحة تفتح على عدة حجرات ، كما نجد ان الساكن قد أعد غرفة بجانب الباب وهي مخزن للماء والسوائل . وتحفظ هذه السوائل فى جمادانات مرصوصة على مصاطب بها فتحات بداخلها هذه الزجاجات الضخمة ويصل عددها إلى الستين جمادانة .

هـ- ولكل راهب غرفة للصلاة Oratory ، فهى عنصر هام جدا فى كل مغارة ، وغالبا ما نجد الحوائط المبيضة بالجبس مزينة بالرسومات القبطية وبها بعض الكتابات كالآيات وطلب الدعوات وذكر ساكن القلاية ، كما نجد بعض الزخارف والحنيات وخاصة فى الشرق حيث يصلى الراهب .

و- إلى جانب هذا نجد المطبخ من بين احد هذه الغرف وهو بدوره مزخرف . ونجد به اوعية لحفظ الطعام . وإلى جانب ذلك نجد أحيانا غرفه النوم ، ونجد بها مرقداً للنوم ملاصقا للحائط ، وهذه الغرفة ملحقة بالمحبسة - غرفة الصلاة .

ز- هذه المغارات تضاعف عدد غرفها وأحجامها إذ سكنها عدة اشخاص ، فأحيانا نجد بها غرفتين كمدخل ، واحدة منها قد يكون بها مخبز ، وغرفتين للصلاة ، ومطبخاً أكبر واوسع . وبهذا قد تصل مساحة هذه الغرف كلها الى مائة متر مربع [٦٦] .

حـ- توجد نوافذ علوية للتهوية وهي إلى الجنوب ، وهي علوية فى السقف إذ ابتعدنا عن سطح الأرض ، وأحيانا جانبية إذا ما اقتربنا من السطح .

ط- هذه المغارات من القرن الخامس الميلادى .

المغارة المحفورة والمبنية :

ظهر نوع اخر من المغارات وهو المغارات المحفورة والمبنية فى نفس الوقت ، وذلك لتفادى مساوئ القلاية المحفورة كلها بالصخر ، فكان نصف القلاية المحفور إلى جانب النصف المبنى هو الشكل الأمثل لهم سواء لادخال بعض النور أو الهواء أو لتفادى حرارة الجو الشديدة صيفاً . وقد لجأ الرهبان الى هذه الطريقة لتوسيع مغائرهم لاستيعاب رهبان جدد وتلاميذ جدد (للآباء الشيوخ) !

---

66 - Abid.

وقد تميزت منطقة الاسقيط بهذه النوعية من القلالى .. فهذا ما حدث مع القديسين مكسيموس ودوماديوس فقد بنيا قلايتهما بهذه الطريقة ، فقد قال لهما القديس مقاريوس بعد ان اراهما الصخرة الصلبة التى سينحتانها :

" انحتاها .. واحضرا لكما خصا من الغابة وسقفا واجلساً " [٦٧]...

وبعدما اطلع القديس مقاريوس الرهبان عن قلاية الغريبين أو من بعد نياحتهما- سمح لكثيرين ان يحفروا ويبنوا قلاليهم ومغائرهم بجوار قلايتهما .. وبنى لهم أيضا كنيسة وتكونت أول جماعة رهبانية بالاسقيط " جماعة الروم"[٦٨].

ووجدنا المؤرخ إيفلين وايت ، يعود ويؤكد وجود هذا النوع من القلالى المغارات ، فيقول : " كانت القلالى فى الاسقيط عادت محفورة بالكامل أو جزئيا فى الصخر ، وكان يطلق عليها مغارات . وكان الجزء الخلفى منها مغارة فى الصخر ، طبيعية أو صناعية ، أما الجزء الامامى منها فهو فناء مبنى بالدبش أو الطوب " [٦٩] .

ولقد وجدنا مثل هذا للنوع من القلالى فى مناطق أخري بمصر ، ووجدنا الرهبان يبنون بعضا من الغرف امام مغارات طبيعية وصناعية ، بل اننا وجدنا ديراً كاملاً بهذه الكيفية ، وهو دير القديس مارمينا المعلق بأبنوب الذى يقع شمال المعابدة بحوالى ٣ كيلو متر بالجبل الشرقى بأبنوب- أسيوط :

" فيتكون هذا الدير من كنيستين منحوتتين فى الصخر وحصن ملاصق بالجبل من أربع طوابق مبنى بالطوب والحجر .. وبه دورات مياه ايضاً [٧٠] .

---

٦٧ - بستان الرهبان - ص ٣٧ - طبعة ١٩٦٨ .

٦٨ - سيرة الثلاثة مقارات القديسين - ص ٣٢ - هامش ٢ - اصدار دير السريان .

٦٩ - تاريخ الرهبنة فى الصحراء الغربية - ص ١١٢ - جـ ٢ - تعريب .

70 - S.clarke - christian Antiquities in the Nile Valley - Oxford 1912.

كذلك انظر - عمارة الكنائس والأديرة الأثرية فى مصر - ص ٣٠٦ .

وقد تميزت منطقة الاسقيط بهذه النوعية من القلالى .. فهذا ما حدث مع القديسين مكسيموس ودوماديوس فقد بنيا قلايتهما بهذه الطريقة ، فقد قال لهما القديس مقاريوس بعد ان اراهما الصخرة الصلبة التى سينحتانها :

" انحتاها .. واحضرا لكما خصا من الغابة وسقفا واجلساً " [٦٧]...

وبعدما اطلع القديس مقاريوس الرهبان عن قلاية الغريبين أو من بعد نياحتهما- سمح لكثيرين ان يحفروا ويبنوا قلاليهم ومغائرهم بجوار قلايتهما .. وبنى لهم أيضا كنيسة وتكونت أول جماعة رهبانية بالاسقيط " جماعة الروم"[٦٨].

ووجدنا المؤرخ إيفلين وايت ، يعود ويؤكد وجود هذا النوع من القلالى المغارات ، فيقول : " كانت القلالى فى الاسقيط عادت محفورة بالكامل أو جزئيا فى الصخر ، وكان يطلق عليها مغارات . وكان الجزء الخلفى منها مغارة فى الصخر ، طبيعية أو صناعية ، أما الجزء الامامى منها فهو فناء مبنى بالدبش أو الطوب " [٦٩] .

ولقد وجدنا مثل هذا للنوع من القلالى فى مناطق أخري بمصر ، ووجدنا الرهبان يبنون بعضا من الغرف امام مغارات طبيعية وصناعية ، بل اننا وجدنا ديراً كاملاً بهذه الكيفية ، وهو دير القديس مارمينا المعلق بأبنوب الذى يقع شمال المعابدة بحوالى ٣ كيلو متر بالجبل الشرقى بأبنوب- أسيوط :

" فيتكون هذا الدير من كنيستين منحوتتين فى الصخر وحصن ملاصق بالجبل من أربع طوابق مبنى بالطوب والحجر .. وبه دورات مياه ايضاً [٧٠] .

---

٦٧ - بستان الرهبان - ص ٣٧ - طبعة ١٩٦٨ .

٦٨ - سيرة الثلاثة مقارات القديسين - ص ٣٢ - هامش ٢ - اصدار دير السريان .

٦٩ - تاريخ الرهبنة فى الصحراء الغربية - ص ١١٢ - جـ ٢ - تعريب .

70 - S.clarke - christian Antiquities in the Nile Valley - Oxford 1912.

كذلك انظر - عمارة الكنائس والأديرة الأثرية فى مصر - ص ٣٠٦ .

شكل الدير من الخارج

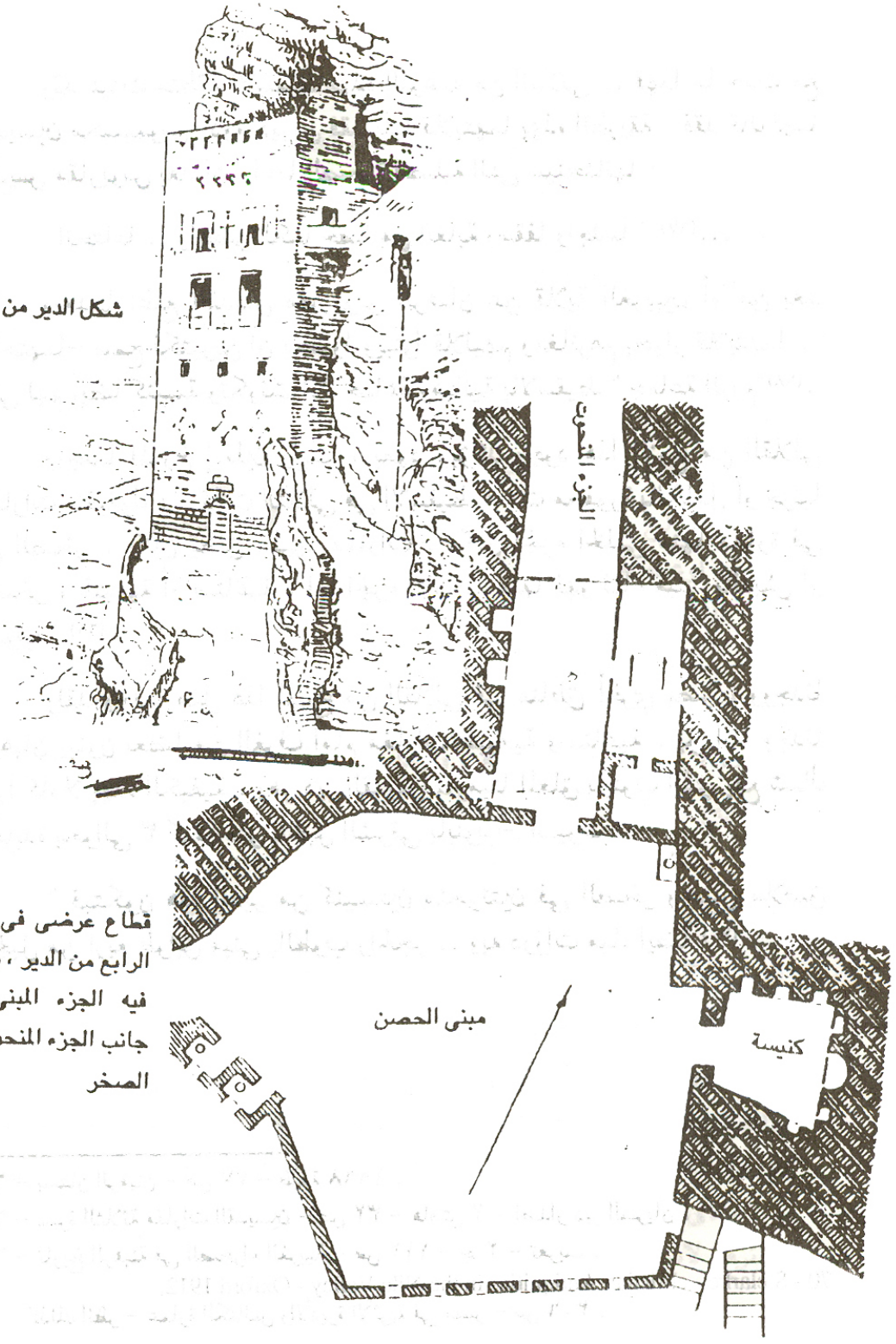

قطاع عرضى فى الدور الرابع من الدير ، ويظهر فيه الجزء المبنى إلى جانب الجزء المنحوت فى الصخر

الشيخ والتلميذ والأسد :

[جاء طالب رهبنة إلى شيخ قائلا له : " اريد ان اكون راهباً ، فأجابه الشيخ : " لاتستطيع يابنى " .

قال الشاب : " بل استطيع " . اجابه الشيخ : " لو تريد ان تترهب أذهب وأترك العالم ، وتعال امكث بقلاية "!

ذهب الشاب وباع كل ممتلكاته وابقى معه مائة جنيه بحوزته، ورجع إلى الشيخ . فقال له الشيخ ، أذهب وأمكث فى هذه القلاية ، وأشار إلى مغارة مجاورة له ، فذهب الشاب وجلس .

بينما هو بالقلاية جاءته الأفكار قائلة : الباب قديم ويجب تغييره .. فعاد إلى الشيخ وقال له : ان أفكارى قالت لى ان الباب قديم ويجب أن أغيره . قال له الشيخ : انك لم تمت عن العالم أذهب وأترك العالم وأرجع هنا .

ذهب الشاب واعطى الفقراء تسعين جنيها وابقى عشرة لنفسه، وعاد إلى الشيخ ، وقال له : لقد مت عن العالم ، فقال له الشيخ : أذهب وأمكث فى المغارة ، فذهب وجلس بينما هو جالس قالت له أفكاره : ان الرف قديم ويجب ابداله ، فعاد إلى الشيخ وقال له ان أفكارى قالت لى ان الرف قديم ويجب ان أغيره .. رد عليه الشيخ قائلا : انك لم تمت عن العالم ، أذهب وأترك العالم .

فذهب واعطى العشرة جنيهات ، ورجع إلى الشيخ وقال له : أنظر لقد تركت العالم ، وجلس بقلايته . ومرة أخرى قالت له أفكاره كل شئ هنا قديم وسيدخل أسد ويلتهمه .. فقال له الشيخ هذه المرة " اننى اتوقع ان كل شئ هنا سيقع على رأسى ، وان أسدا

سيأتى ويلتهمنى .. [٧١] ولهذا انا جالس أبقى حراً ، أذهب وأجلس بقلايتك وصل إلى الرب!!!]

سراديب المغائر :

تعود بعض الأباء ان يحفروا سرداباً يذهب بهم بعيدا عن الزوار والفضولين الذين يقتربون من مغائرهم وقلاليهم . ولقد وجدنا القديس أنبا مقاريوس الكبير يحفر سردابا من مغارته إلى قلاية أخري بعيدة ، وكان يذهب اليها سراً ودون ان يكتشف هذا احد ، فلم يكن احد يعلم بالأمر الا تلميذه الخاص ؟ ويؤكد بلاديوس وجود هذا السرداب ، فيقول :

" الأن ، لان عددا كبيراً من الناس قد جاؤوا لاخذ بركته فسببوا له متاعب جمة ، فأتم هذه الخطة برأسه . حفر سردابا ذا عرض مناسب من قلايته ، وبطول يمتد إلى نصف ميل ، إلى مغارة أخرى صغيرة فوق نهاية السرداب . وعندما كان يأتى اليه عدد كبير من الناس ويزعجونه ، كان يدلف إلى السرداب فى سرية ويخفى نفسه فى المغارة الصغيرة ... وهو يفعل هذا دائما ليهرب من المجد الباطل " [٧٢] .

وعلى مايبدو أن القديس أنبا بيشوى أيضا ، كان يترك ديره وعبر سرداب يدلف إلى مغارة صغيرة تلك التى تقع الأن بدير السريان الحالى [٧٣] .. فى هذه المغارة كان يقضى الشهور لايفتح لاحد .. وفى هذه القلاية تقابل مع السيد المسيح وغسل قدميه ، وفيها ايضا كان يربط شعره لئلا ينام وهو يصلى . وفيها ايضا زاره القديس افرام السريانى ، وعندما خرج من عنده وجد ان عصاته – التى كان قد تركها خارجا – قد أفرخت وأورقت وأصبحت شجرة مارافرام السريانى المشهورة والموجودة للان بدير السريان العامر بوادى النطرون [٧٤] .

---

71 - The world of the desert fathers - Stories and Sayings from the Anonymous

72 - Budge - lus . Hist. Vol1 - Page 116 .

٧٣ – نستطيع ان نؤكد من زيارة البابا بنيامين الثانى لدير السريان سنة ١٣٣٠ م ، ان الموقع المقدس الذى زاره ، والذى يقال ان الرب ظهر فيه للأنبا بيشوى ، هو بلا شك المغارة الخاصة بالأنبا بيشوى – عن ايفلين وايت – تاريخ الرهبنة بوادى النطرون – جـ ١ – ص ١٨٧ – تعريب (بالطبع المغارة أقدم من ذلك بكثير فهى من أعمال القرن الرابع الميلادى).

Series of the Apopthegmatapatrum - Page 2 (1919) .

٧٤ – شجرة مارافرام السريانى – أنظر كتاب الزى الرهبانى – ص ٨٥ .

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

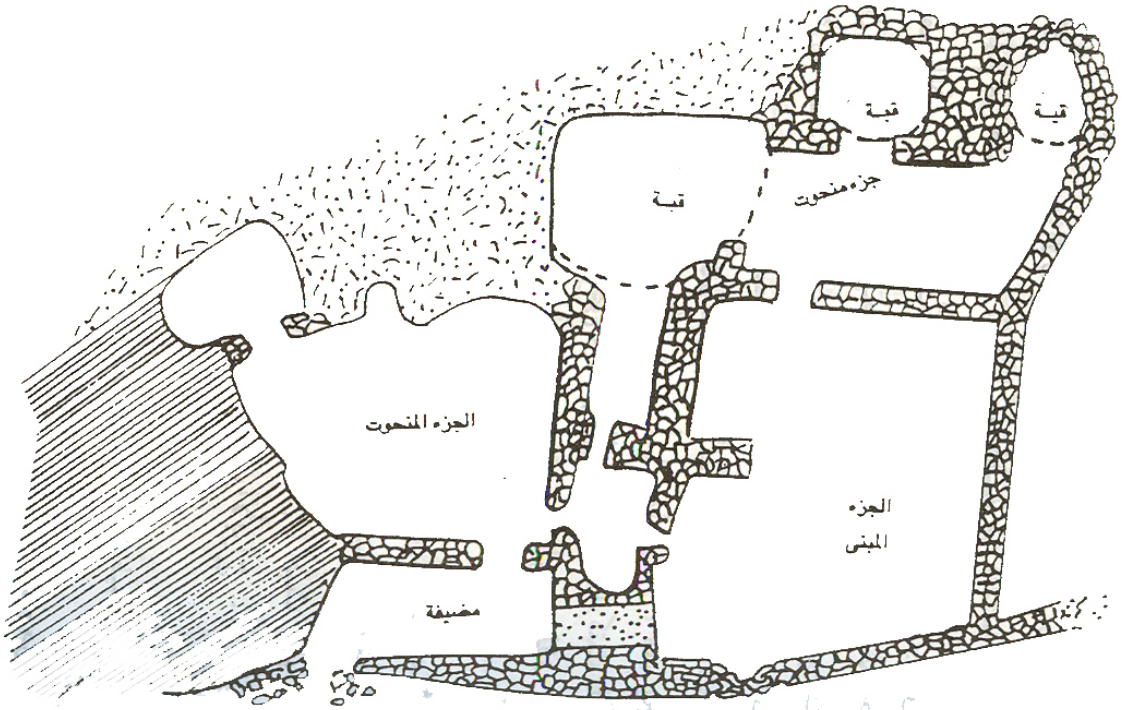

مغارات وادى عربة دير الأنبا أنطونيوس

تبعد حوالى ٥٠ كم غرب دير الأنبا أنطونيوس بوادى عربة

وهذه الوحدة جزء منها من المبانى وجزء منحوت فى الصخر ويدخل الى حجرة صغيرة

بها ثلاث حنيات مغطاة بقبو

رابعا : المعابد الوثنية

عاش بعض الآباء الرهبان فى المعابد والهياكل الوثنية ، بل انه أقيمت أديرة كاملة فى بعض منها ، كما فى الدير البحرى [٧٥] ، ودير معبد مدينة هابو[٧٦]. هذا إلى جانب استغلال بعض حجارة هذه المعابد فى بناء الأديرة كما فعل الأنبا شنوده رئيس المتوحدين . ولعلنا نجد فى منطقة غرب الاقصر مجموعة من الأديرة فى المعابد وحولها ، ولقد كشفت اخيرا [٧٧] .

ولقد كان يلجأ بعض الآباء الأوائل فى قضاء الليل بهذه المعابد فى اثناء سفرهم وارتحالهم من منطقة لأخرى ، وهذا ما نفهمه من القصة الأتية :

[صعد الأب مقاريوس الكبير من الاسقيط إلى ترنيوثى ودخل المعبد لينام . وكان هناك رفات قديمة لبعض الوثنيين . فمد يده واخذ جمجمة وجعلها تحت رأسه بمثابة وسادة واتكأ عليها . فلما ابصر الشياطين شجاعته ، حسدوه ، وأرادو ان يخيفوه ، فأطلقوا اسماً نسائيا قائلين : يافلانة ، تعالى معنا إلى الحمام. ثم نهض شيطان اخر وتكلم من تحته كأنه واحد من الأموات ، قائلاً : هناك إنسان أجنبى فوقى ولااستطيع أن أنهض . أما مقاريوس ، فلم يجزع ، بل كان يضرب الرفات شجاعة ويقول : انهض واذهب إلى الظلمة اذا كنت تقدر . فلما سمع الشياطين هذا الكلام ، صرخوا بأعلى صوتهم وقالوا : لقد غلبتنا وخرجوا مخجولين] [٧٨] .

وتعدد لنا الهوستوريا موناخورم الاف الرهبان الذين عاشوا فى المعابد والهياكل الوثنية لمدينة اوكسر نيكوس (البهنسا الحالية) ، وها هو الوصف :

" كان الرهبان تقريبا الغالبية بالنسبة للسكان ، حيث كانوا يقيمون فى كل مكان فى المداخل بل وفى بوابات المخارج والأبراج .. لقد كانت المعابد

---

٧٥ - الدير البحرى : وهو من الأديرة التى شيدها المسيحيين فى طيبة منذ القرن السابع للميلاد وذلك داخل المعبد الجنائزى للملكة المصرية حتشبسوت .

انظرتاريخ الرهبنه والديرية فى مصر واثارهما الأنسانية على العالم - ص ٢٠١ - لرؤف حبيب

٧٦ - فى معبد مدينة هابو بطيبة انشئ به دير على أسم القديس ثيؤدور - نفس المرجع السابق .

٧٧ - نفس المرجع السابق - كشف مدينة ممنونيا أو جيمى .

٧٨ - اقوال الآباء الشيوخ - ٦ آباء الكنيسة - ص ١٧٣ - منشورات النور .

والكابيتولات فى المدينة تمتلئ بالرهبان " [٧٩] .

والحقيقة ان العمارة القبطية تأثرت اولا بالعمارة الفرعنية وإلى ان ظهرت عمارتها الخاصة المنفصلة ، وكذلك ايضا بالنسبة للزخارف وبقية التأثيرات الفرعونية [٨٠] .

خامسا : العامود

كان أول من عاش على عامود هو القديس سمعان العامودى السريانى (٣٨٩ - ٤٥٩م) ، قضى سبعا وثلاثين سنة من حياته العجيبة فوق العامود . ولكن ما سبب استخدامه للعامود ؟! .. جاء بسيرته :

" كانت تزحف إليه جموع المومنين طالبين صلواته والشفاء من مختلف الأمراض . كان الكل يطلبون الأقتراب منه ولمسه ، أو أن يأخذوا ولو قطعة من ثوبه . لكى يبعد ذاته ، كيفما كان الأمر ، عن زائريه ، صنع له عاموداً ، ووقف عليه .. إذ انه بهذه الطريقة صار حراً فى لقاء السماء وفى الأنعتاق من الأرض"[٨١] .

كان العامود يتراوح طوله بين ستة أذرع ، وامتد ليصبح إثنى عشر ، وبعد ذلك عشرين وأخيراً ستة وثلاثين ذراعاً . وكان سمعان يقف منتصبا على العامود ، بلاسقف أو غطاء فى الهواء الطلق .

ونجد عامودياً آخر بمصر هو القديس أغاثون (أغاثوا) العمودى . وكان هذا من مدينة تانيس . توجه إلى مريوط وسنه ٤٠ سنة ومن هناك إلى دير القديس مقاريوس . وعاش هذا القديس حياة نسك شديدة ، واثرت حياة القديس سمعان العمودى فيه كثيرا لانه كان يقرأها باستمرار ، إلى ان عزم أخيرا على محاكاة نمط حياته ، وكان قد أمضى عشر سنوات بالاسقيط متتلمذا على يدى القديسين أبراهام وجورجى ...

أستشار أغاثون الآباء ، ونال موافقتهم .. وغادر الاسقيط واستقر فى كنيسة بسخا ، وبنى له المؤمنون المسيحيون عامودا فسكن فوقه . وأجرى

---

٧٩ - الهوستوريا موناخورم - ص ٩١ - عن أوكسير نيكوس - تعريب

٨٠ - الفن القبطى والتأثيرات الفرعنية - أعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى.

٨١ - تاريخ كنيسة أنطاكية - تعريب استفانس حداد - ص ٥٠٤ - منشورات النور .

كعمودى معجزات كبيرة إلى أن تنيح بسلام عن مائة عام أقام منها فى العالم أربعين وبالبرية عشر سنين ، وعلى العامود خمسين سنة [٨٢] .

أخيرا ، فكرة العامود هذه قد نعتقدأحيانا أن فيها بعض المبالغة ، الا ان حياة القداسة التى كان يعيشها الناسك العامودى كانت تلفت الأنظار حقا ، وكذلك ان امتداد وجود من تمثلوا بسيرة هؤلاء النساك ، أمثال القديس سمعان العامودى الجديد فى القرن السادس وكذلك قديسنا أغاثون العامودى المصرى .. وغيرهم ، يجعلنا نقف حائرين أمام قوة الارادة والصلابة التى كان يظهر بها هؤلاء العموديون ... ان غرضهم كان واضحا ، مهما كانت أساليبهم ، فالإنتصار على الذات وترويض الجسد (ولو بقسوة أحيانا) ، أحد العوامل الأساسية التى تصل بالراهب للملكوت ، فالرسول يقول :

" بل أقمع جسدى وأستعبده " (اكو ٩ : ٢٧) .

+ يروى عن الأنبا شيشوى ، الذى من بابيلون ، أنه أراد أن يغالب النوم ويغلبه ، فاعتلى صخرة فوق حافة جبل ، ووقف عليها منتصباً حتى تعرض للسقوط والموت فأتى إليه ملاك الرب وخلصه ، وأمره الايعود لمثل هذا العمل مرة أخرى ، وألا يوصى به أحداً غيره!

بلاديوس - التاريخ اللوزياكى

٨٢ - السنكسار القبطى اليعقوبى - لرنييه باسيه - جـ ١ - ص ٢٢ - اعداد الراهب القس صموئيل السريانى .

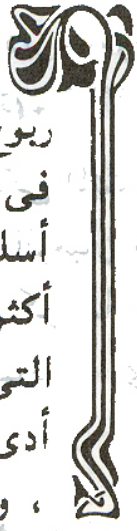

أخيرا ، بهذا وبأزدياد عدد الرهبان فى ربوع مصر وتقدم ونمو الرهبنة ، بدأ الرهبان فى تهذيب وتطوير مساكنهم ، لتناسب أسلوب حياتهم عبر المشوار الطويل ، وذلك أكثر منها رغبه فى تذليل الصعوبات والمشاق التى تتواجد بالصحارى والبرارى .. وهذا أدى إلى ظهور المنشوبيات - القلالى الكبيرة ، وبعدما اقتنع الجميع انه ، على الاقل ، يجب ان يكون هناك نوع من الشركة (سواء النصف وحدة - أو الشركة الكاملة) فى كل شئ، .. وقبل ان يتوحد الراهب الراغب فى الوحدة بالبرية الداخلية بعيداً عن المجمع ؟!

الفصل الثانى

عصر المنشوبيات

تذكر المصادر التاريخية مع علم الأثار المسيحية ، أن مصر بالقرن السادس الميلادى ، ما كانت تخلو منطقة بها من وجود أديرة . ولقد وجدت بمصر بالجيل الخامس وحتي الجيل السابع ، مناطق عامرة بالأديرة كثر عددها بحيث صارت ، وكمثال ، قرب الاسكندرية ستمائة دير .

وقد ورد فى تاريخ البطاركة انه فـى ايام رئـاسة البابا بطـرس الـرابع (٥٦٧ - ٥٦٩م) ، مايلى :

" كان فى غرب الاسكندرية ستمائة دير عامرة كلها بالارثوذكسين وجميعهم رهبان وراهبات مثل خلايا النحل فى عمارتهم " (٨٣)

هذه الفترة المزهرة تميزت بوجود القلالى المنشوبيات (٨٤) ، والتي عبرت فى معمارها وزخارفها عن مدى ما وصل اليه الرهبان والرهبنة من ازدهار وتقدم ونمو .. هذا وقبل ان تمتد أيدى الخراب لتدمر كل ما وصلت اليه مخالبها الردية ، لتندثر لا المنشوبيات فحسب ، بل لغة الاقباط - أى اللغة القبطية .

عوامل ازدهار المنشوبيات :

تداخلت عوامل كثيرة لكى تزدهر وتنمو الرهبنة ، وبالتالى الأديرة والقلالى ، ومنها :

١ - ازدياد عدد الرهبان ، وهذا العدد تفاوتت ارقامه تبعاً لحالة البلاد بداية من المقوقس (قيرش) حاكم مصر وبطريركها الملكانى ونهاية بدخول العرب مصر .

٢ - مساعدات الملك زينون لأديرة مصر :

ففى نهاية القرن الخامس (٣٨٢م) ترهبت القديسة إيلارية أبنة الملك زينون

---

83 - Evetts , Hist. patr. Vol .11 P.472

٨٤ - المفرد منها المنشوبى أو المنشوبية ومعناها المسكن - أى مسكن الراهب .. القلاية . وهى مأخوذة من الكلمة القبطية منشوبى - manshopi وأحيانا تسمى قلالى كبيرة (تى نشتيرى).

(توفى سنة ٤٩١م) ، بعدما هربت من قصر أبيها متخفية بزى رجل ، وبمصر التحقت بدير أنبا مقار .. وبعدما صنعت معجزة شفاء مع اختها ، التى أرسلها الملك لمصر لتشفى (دون علمه بوجود أبنته الاخرى بمصر) .. أغدق زينون على الأديرة بعدما تعرف على أبنته ، والتى يقال انها سألته ان يهتم بالأديرة والقلالى التى هدمها البربر والبدو ببرارى مصر .

فأرسل رجلا واعطاه نقودا كثيرة لنفقات بناء قلالى ومنشوبيات وحصون . وفعلا تم بناء قلالى جديدة ذات أسوار خارجية صغيرة ، وامتد الامر عموما وبنيت كنائس عديدة ومبانى ذات أعمدة رخامية ... الخ [٨٥] .

٣ - يؤكد الأبنا ساويرس ابن المقفع فى كتابه " تاريخ البطاركة " ازدهار القلالى لسبب اخر ، فيقول :

" ولم يشعر الرهبان القاطنون فى الأديرة بأى احتياج لان المسيحين كانوا يتهافتون فى تقديم الخيرات والمساعدات للأديرة ، فكانت فترة هدوء اهتم فيها الرهبان بعمارة وترميم أديرتهم وتجديد مبانيها بعد ان كانت قبائل البربر قد خربت منها الشئ الكثير " [٨٦] .

٤ - ولم تكن هذه الأسباب فقط هى التى ساهمت فى عمران القلالى وتشييدها ، فأن سياسة عمرو بن العاص نحو الاقباط ، المتسامحة فى هذه الأيام المبكرة ، ساعدت فى اعادة تنظيم وتعمير الأديرة والقلالى وشئون الكنيسة كلها [٨٧].

وصف المنشوبيات :

قد يعتقد البعض ان القلالى المنشوبيات ، خاصة بالمتوحدين فقط ، ولكنها كانت تخص أديرة الشركة أيضا .فمنشوبيات دير أبوفانا بلوى بمحافظة المنيا ،يظهر من مساحة مبانيها وحجراتها أنها تخص حياة شركة Cenobium ، وهذا لكبر وضخامة مساحة الحجرات بشكل ملحوظ [٨٨] .

---

٨٥ - تاريخ الرهبنة القبطية بالصحراء الغربية - جـ٢ - ص ١٣٣ - تعريب .

86 - Evetts , Hist . Parti - Vol 2 - P.473

٨٧ - تاريخ الرهبنة القبطية بالصحراء الغربية - جـ ٥ - ص ١٨٩ - تعريب .

٨٨ - كتاب عمارة الكنائس والأديرة بمصر - ص ٢٥٨ - القس صموئيل السريانى

ونرى مثلا أخر لمنشوبيات الشركة ، وهي منشوبيات دير البلايزة [٨٩] .. إذ يحيط بالدير سور ضخم يحوى داخله اطلال الحجرات التى توضح انها كانت كبيرة لتسع عدداً من الآباء فى نظام شركة [٩٠] . ان منشوبيات دير الشركة لاتتعدى كونها حجرات كبيرة تسع اكبر عدد ممكن من الرهبان ، ويعيشون عيشة مشتركة ويخضعون لنظام المجمع بديرهم .

منشوبيات الوحدة - النصف شركة :

سنختص بشرح هذه المنشوبيات لانها المثال الأوسع انتشاراً عن منشوبيات الشركة :

لعل ما يميز قلالى المتوحدين عن قلالى الشركة ، هو صغر مساحة حجراتها ، وهذا بالطبع إلى جانب ان منشوبيات دير الشركة ملتصقة ببعضها البعض ، وقد تفتح قلاليها على دهليز طويل - أما منشوبيات الوحدة فمنفصلة كل عن الاخرى .

بالطبع قد تزيد هذه الوحدات بنيتها الأساسية هذه ، وبوجود تلميذ أو اكثر وبنفس تقسيمها السابق ذكره . ولدينا مثال لمثل هذا النظام ، وهي منشوبيات دكران بأبى تيج التى تقع قرب الطريق إلى دير الجنادلة والغنايم بأسيوط [٩١].

وفى وادى النطرون كان النظام الاكثر انتشاراً بالطبع هو النصف شركة والوحدة وقد كان لزيادة عدد الرهبان بوادى النطرون ، ان ازدادت الحاجة إلى قلالى كبيرة لكى تسع هذه الأعداد الضخمة المتهافتة على حياة النسك والتقوى. فقد بلغ عدد الرهبان بالاسقيط فى القرن السادس حوالى ٣٥٠٠ راهبا [٩٢] .. وكذلك خرج للقاء عمرو بن العاص مع البابا بنيامين الـ ٣٨ ، عدداً لابأس به من الرهبان [٩٣] . ونتيجة لوجود هذا العدد الضخم من الرهبان ، ظهرت المنشوبيات التى تجمع عدداً من الرهبان بداخلها يعيشون فى وحدة تجمعهم شركة المكان .

---

٨٩ - يقع دير البلايزة بحرى شمال قرية دير البلايزة بواحد كيلو متر - ويرى اثاره من الطريق الواصل من درنكة إلى الغنايم بمحافظة اسيوط (ابو تيج) .

٩٠ - وصف الدير وكنيسته - نفس المرجع السابق .ص ٢٣ .

٩١ - نفس المرجع السابق - ص ٣٢٤ .

92 - Evelynwhite - Hist. of mon. - Vol 2 - P.259.

٩٣ - يقال ان الأنبا بنيامين البابا الـ ٣٨ ، قد خرج على رأس سبعين الفا من الرهبان يحملون عكازهم ، ولكن هذا الرقم بالطبع مبالغ فيه ، ويبدو انه كان سبعة الاف على اكثر تقدير .. انظر الخطط التوفيقية لعلى مبارك - ص ١٠٢.

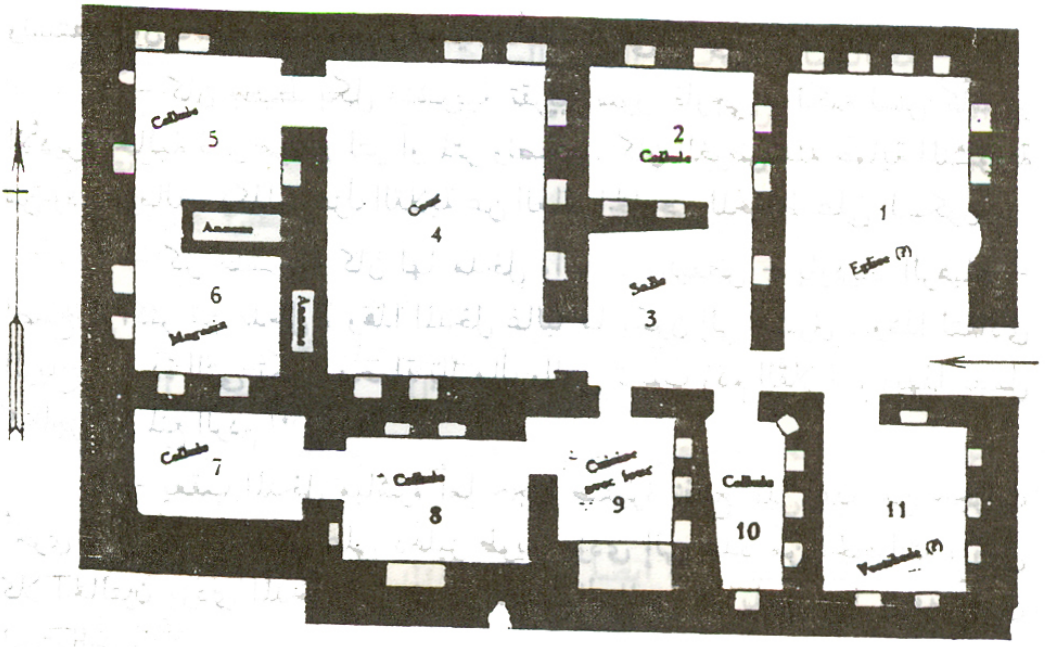

ورغم انتشار المنشوبيات الكبيرة - القلالى الدير كما يطلقون عليها - فأن كل واحدة منها كانت تابعة لجماعة رهبانية معينة برهبانها ومهما كان عددهم - أى تتبع لدير ما . ولقد حافظ رهبانها ومتوحدوها على النظام المعمول به منذ القدم ، وهو الذهاب يومى السبت والاحد من كل اسبوع إلى الكنيسة - أى إلى المجمع ، على ان يحملوا احتياجاتهم معهم وهم عائدون إلى قلاليهم فى نهاية يوم الاحد (٩٤) .

وقد قامت بعثات أثرية عديدة ، بمسح الكثير من المنشوبيات التى انتشرت فى برارى مصر ، ولعل اعظمها جميعا هو كشف البعثات الفرنسية والسويسرية لمنطقة القلالى - كيليا Cellia ؛ وظهور ٣٥٠٠ منشوبية - أو فلنقل ديراً صغيراً .

عموماً فلقد تشابهت المنشوبيات سواء فى شمال أو وسط وجنوب مصر ،

---

٩٤ - ناقش هذا الامر باستفاضة المؤرخ ايفلين وايت فى مؤلفة تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية - انظر جـ٢ - ص ١٠٤ - تعريب

ونستطيع ان نخطط معالمها الرئيسية الأساسية فى الاتى :

١ - كان يحيط بكل منشوبية تقريبا سور خارجى ، لكنه ليس كأسوار الأديرة الحالية فهو مرتفع لمتر أو لمتر ونصف . كان الغرض منه حماية المنشوبية من ردم الرمال ، وكذلك عزل القلاية عن العالم الخارجى للحفاظ على السكون .

٢ - كل منشوبية كان لها مدخل واحد ، والبعض - بازدياد الرهبان - اصبح له اكثر من مدخل ، وهذا المدخل غالبا ما يكون إلى الشرق ، وهذا لتفادى الرياح الباردة التى تكون محملة بالرمال والتى تسبب ردم القلاية ، وبهذا يعمل كحاجز ثان لمنع الردم [٩٥] .

٣ - يعقب المدخل مباشرة أما حجرة صغيرة تفتح على عدد من حجرات أخرى ، أو يفتح المدخل على دهليز طويل يؤدى إلى عدد من الحجرات ، وفى كلا الحالتين يؤدى المدخل إلى غرفة الأستقبال التى قد يلحق بها غرفة أخرى لمبيت الضيف .

٤ - وغالبا ما كان يوجد بالمنشوبية فناء داخلى تتوزع الحجرات حوله ما إذا كان بالوسط وأحياناً يكون بالخلف ، وفيه توجد حديقة وبئر للمياه خاص بالمنشوبية .

٥ - كانت أصغر غرفة بالمنشوبية هي المحبسة وهى خافتة الإضاءة ، وأحيانا لايكون بها أى شبابيك بل فتحات علوية صغيرة « روشن» .

٦ - وإذا كان سقف الغرفة مستطيلاً فلا يصنع من القباب بل من الخشب ، ولهذا نجد ان كل الغرف ذات الحجم الصغير من القباب ، مع ملاحظة انه اذا قام ببناء القلاية عمال مهرة متخصصون فأن القبة كان محيطها يمكن ان يصل إلى عشرة امتار [٩٦] .

٧ - معظم الغرف كانت تبيض (تمحر) بالجبس لانه عازل ، والجزء الأسفل من الحائط (أى السفل الارضى) كان يلون باللون الأحمر [٩٧] . اما الأرضيات فكانت من الحجر أو الصخر أو حتى الطفلة ومخلوطه برمال وتبن ، أو طبقة من الجبس ، واحيانا من التراب الأرضى العادى [٩٨] Beaten Earth .

---

95 - Monastic Archaeology in Eqypt . Page 110 .
96 - Abid
97 - Abid
98 - Abid

٨ - مع انتشار القباب (العصر البيزنطى) ظهرت الحنيات بكثرة فى حوائط القلاية . وتفنن الرهبان فى زخرفة شرقياتهم التى يصلون امامها ، وظهرت انصاف البراميل أيضا . وكان تباين المنظر من قباب مختلفة الأبعاد وانصاف براميل وحتى السطوح الخشبية المستوية ، يجعل للمنشوبية منظراً جميلاً ساهم فيه الراهب بلمسة ابداع .

٩ - تميزت بعض القلالى بوجود فتحات تهوية ، وبالحوائط البحرية خاصة . هذه الفتحات تكون أحيانا مشتركة بين حجرات المبنى الواحد - أى ان الهواء يدخل من الناحية البحرية ويعبر الحجرات حتى الناحية القبلية منها . وهذه الملاقف الهوائية ميزت كلا النظامين الوحدة والشركة .

١٠ - تميزت المنشوبيات أيضا بوجود الأدوار العلوية ، وهى أما غرف اضافية أو مخازن تحتاج الى تهوية جيدة ، وأحيانا كانت دورات مياه ، وكان يمكن تتبع مواسير الصرف إلى خارج المنشوبية كلها .

أمثلة لبعض المنشوبيات

+ منشوبية قرب دير الأنبا يحنس القصير بوادى النطرون :

كان يسكن هذه المنشوبية سبعة رهبان (فى وحدة) ، وقد كان اولا لهم مدخل واحد .. وهذا المدخل يفتح على صالتين يوزعان على حجرتين أو ثلاثة لكل متوحد ، وقد فصلت الحجرات عن بعضها ، وتم عمل فتحات دخول خاصة لكل متوحد فى الجانب الشرقى كالعادة . أما المدخل الرئيسى فكان فى الركن القبلى الشرقى من المنشوبية بجوار حجرتى الضيوف [٩٩] .

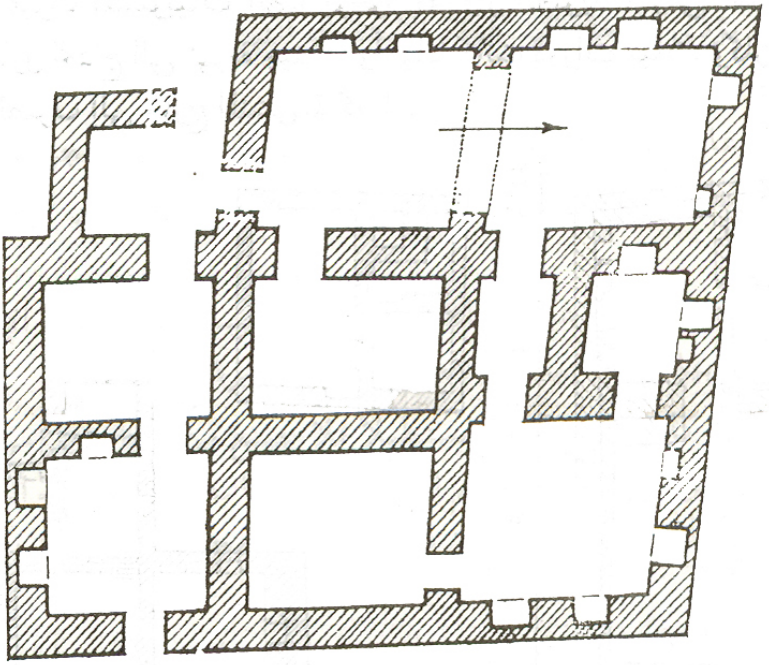

٩٩ - يقع دير الأنبا يحنس القصير إلى جانب اطلال أديرة اخري مهدمة على بعد ٥ كيلو متر من الجنوب الشرقى لدير الأنبا بيشوى الحالى .. وإلى جواره هذه المنشوبية وأخريات أيضا .
أنظر كتاب عمارة الكنائس والأديرة - ص ٩٤ - للقس صموئيل السريانى .

+ منشوبية قرب دير البراموس بوادى النطرون :

تتكون من مدخل فى الركن الشرقى القبلى .. ويدخل منه إلى صالة بها عقد وتزينها الحنيات [١٠٠] Apses . ويوجد إلى جانب المدخل مدخل أخر صغير يقود إلى ثلاثة حجرات ، ومن احدهم ندخل إلى المحبسة التى هى اصغر غرف المنشوبية الغربية منهما لها باب فى الحائط الغربى (على غير المتبع فى منشوبيات وادى النطرون) ، ويبدو انهما كانتا حجرتى ضيافة [١٠١] .

+ منشوبيات وقلالى أديرة سقارة :

فى منطقة سقارة نجد دير الأنبا ارميا وهو من الأديرة الرائعة ومن اعمال القرن السادس أو السابع الميلادى ، ويقع هذا الدير جنوب الطريق الصاعد لهرم اوناس بمسافة صغيرة (تناوله الدمار والخراب كبعض الأديرة الاخرى بالقرن الثامن الميلادى) :

- تبدو القلالى هنا مكونة من الثلاث عناصر الرئيسية المعروفة . الحجرات الداخلية بها الحنيات والحائط الشرقى على الأخص حيث يصلى الراهب ، الغرف التالية تفتح على حوش بفناء صغير ، وهذه الغرف مقسمة بعضها للعمل والأخر لاستخدامات الرهبان الشخصية كالمطبخ والمخازن ودورات المياه [١٠٢] .

- يبدو انه كان هناك ايضا بعض الغرف العلوية والتى يصعد اليها بسلالم، ويمكن رؤية احد الأبواب الخاصة بها إلى الان باطلال هذا الدير .

- القلالى كانت تواجه الجنوب عامة ، والحوائط من الطوب القرميد - (المحمص أى الطوب الأحمر) . وأحيانا كانت توجد بعض الاحجار فى زوايا الغرف لتزيد من متانة ورباط الحائط بالأخر . كما وجدت النوافذ والفتحات

---

١٠٠ - فى العصر البيزنطى (أشتق الأسم من الدولة البيزنطية - الرومانية الشرقية) استخدمت القباب حتى بالكنائس لتغطية مساحات كثيرة ، وكما استخدمت انصاف القباب (كما فى كنيسة العذراء بدير السريان العامر) والقباب الصغيرة والاقبية وانصاف البراميل والحنيات المختلفة الشكل، وظهر شكل الغرف المربع لان القبة تقريبا لاتبنى الا على غرفة متساوية الاضلاع تقريبا - أى مربعة .تناول هذا الامر بالتفصيل د . مصطفى عبد الله شيحه فى كتابه دراسات فى العمارة والفنون القبطية - ص ٦٢ - ٦٤ .

١٠١- عمارة الكنائس والأديرة - ص - ٩٦ القس صموئيل السريانى

102 - Monastic Archaeology - Page 109.

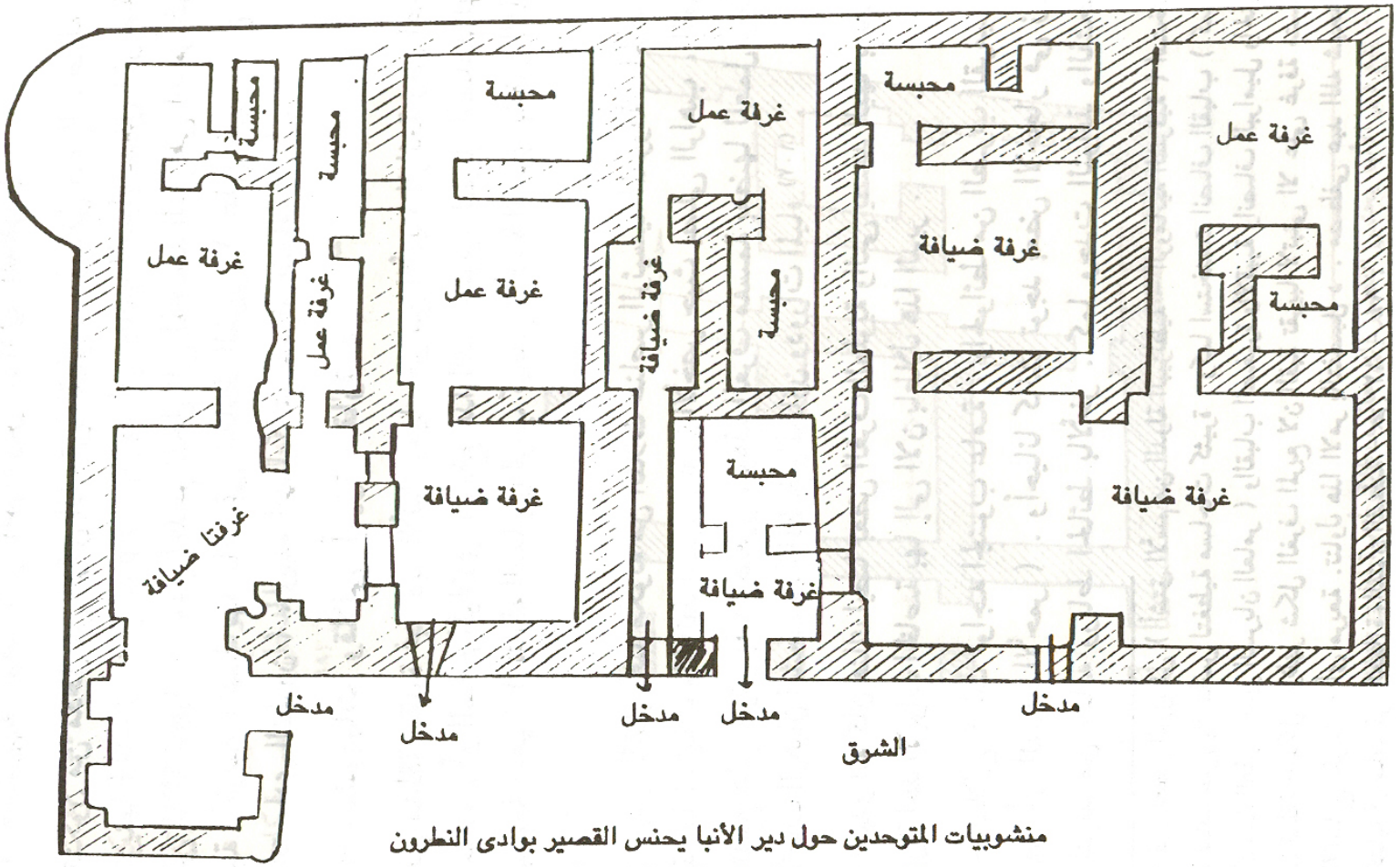

منشوبيات المتوحدين حول دير الأنبا يحنس القصير بوادى النطرون
لكل متوحد فتحة خاصة من الناحية الشرقية

للتهوية . وبيضت الحوائط بالجبس ، والسفل الأرضى تميز بلونه الأحمر . إلى جانب ان الأرضيات صخرية ، والبعض منها من الملاط - المونة ، والبعض ارضيته من التراب الارضى المطروق Beaten Earth .

- الأسقف معظمها من القباب البرميلية الشكل ، والقباب الكاملة ميزت الغرف الصغيرة ، وأحيانا استخدم الخشب فى بناء الاسقف وخاصة فى التى لها ادواراً علوية . وأضيفت بعض العواميد والسنادات إلى الاسقف لتدعيمها[١٠٣].

- هذه القلالى تشبه إلى حد بعيد جدا قلالى أديرة باويط (القرن السادس) من حيث شكل الغرف والاسقف وفتحات التهوية ، الا ان الطوب اللبن استخدم بباويط بدلا من الطوب الاحمر . والفرق الأساسى بين قلالى الديرين هو أن القلالى بمنطقة سقارة لها مدخل واحد ، ولكن فى باويط للقلالى اكثر من مدخل [١٠٤] .

+ قالوا عن الأب أغاثون : انه أمضى مدة طويلة وهو يبنى قلاية مع تلاميذه . ولما انتهوا من بنائها . جاؤوا ليقيموا فيها . وفى الاسبوع الأول لاحظ امرا لم يكن نافعا له ، فقال لتلاميذه : قوموا ننطلق من ههنا . فأضطرب التلاميذ قائلين : إذا كان عندك فكر الرحيل لماذا تكبدنا كل هذا التعب فى بناء القلاية ؟ الناس سيقولون وقد اعثرناهم : ها قد رحل الذين لايجلسون .

فلما رآهم وقد ضعفت نفوسهم ، قال لهم : ربما شك البعض لكن البعض الآخر سينتفع قائلا : هنيئا لهؤلاء الرجال الذين ، حبا بالله ، رحلوا ماقتين كل شئ . على كل حال ، من أراد ان يأتى معي فليأت ، لأنى ماضى الأن ..

---

104 - Abid

وباويط قرية تقع على الضفة اليسرى للنيل قرب بلدة دشلوط ، تبع مركز ديروط - اسيوط .

فانطرحوا جميعهم على الأرض متوسلين إليه أن يسمح لهم بالذهاب معه !

الأبوفثجماتا – أقوال الآباء الشيوخ

+ قلالى منشوبيات دير أبو مقار :

تميز دير أبو مقار بوجود المنشوبيات المتقنة الصنع ، وتميز كذلك بوجود المنشوبيات الكبيرة التى تحمل اسماء . ولقد كان لوجود البطريرك الاسكندرى فيه ولفترة طويلة ، الأثر الفعال فى تجديد وترميم مبانيه وبالتالى منشوبياته وقلاليه فيقول المؤرخ ايفلين وايت :

[كانت سياسة العرب نحو الاقباط ، فى هذه الايام ، سياسة متسامحة بدرجة كبيرة . وبناء على اقتراح من " ارخن مؤمن " (١٠٥) أصدر عمرو بيانا يدعو فيه البابا بنيامين إلى العودة ، ومباشرة شئون كنيسته . وبالتالى عاد البابا من مخبئه فى سنه ٦٤٤م ، وشرع فى عمله فى اعاده التنظيم ، واعادة قبول المرتدين الذين سقطوا خلال الاضطهاد الكبير (يقصد اثناء عنف قيرس) .

ولم تنس أديرة الاسقيط . فيقول تاريخ البطاركة : " انه بطلباته بدأت عمارة وتعمير أديرة وادى هبيب (الاسقيط) والمونا (القلالى – كيلياً) " . واننا نستطيع ان نجمع من مصادر متنوعة بعض الخصوصيات المتعلقة بهذا التجديد . فيسجل المقريزى نقلا بالتأكيد عن مصدر قديم ، ان البابا بنيامين البابا الـ ٣٨ " أعاد بناء أديرة : ابو بيشاى (أنبا بيشوى) وعذراء " أبو بشاى " (أى دير السريان ، فى وادى هبيب] (١٠٦) .

وكذلك نجد تاريخ البطاركة ، يقول :

[انه فى أيام أبا اغاثون بنيت الكنيسة التى كرست باسم الاب مقاريوس ، وتضاعف عدد الاخوة حتى انهم بنوا قلالى بالقرب من المستنقع " البهلس "

---

١٠٥ – هذا الأرخن هو " سانوتيوس التكس " المؤمن بالسيد المسيح الذى كان قد قرر مع الامير عمرو حضور البطريرك بنيامين واخذ له منه الأمان .. انظر تاريخ البطاركة – جـ ١ – ص ١٠٧ طبعة الراهب القس صموئيل السريانى .

١٠٦ – تاريخ الرهبنة فى الصحراء الغربية – جـ ٢ – ص ١٨٩ – تعريب .

وتزايدوا بنعمة السيد المسيح ، وساعدهم الاخوة المؤمنون] [١٠٧] .

وعندما زار موهوب [١٠٨] المنطقة سنة ١٠٨٨م ، وجد فى الصحراء سبعمائة راهب ، منهم ٤٠٠ راهب بدير ابو مقار . بالطبع ما كان للدير ان يسع هذا العدد (داخل الأسوار) ، فلهذا قد كان يعيش كثيرون فى المنشوبيات المنتشرة حول الدير [١٠٩] .

وتميزت منشوبيات دير أبو مقار هذه بوجود اسماء لها ، ويرجع وجود هذه الاسماء إلى صفة معينة تتصف بها ، فعلى سبيل المثال ، نظراً لان قلاية "البتانون " كل رهبانها من مدينة البتانون (بالمنوفية)، فأطلق عليها هذا الأسم . وكذلك القلاية التى وضع فيها اجساد التسعة والأربعين شهيد شيوخ برية شهيت، سميت قلاية " البهمابسيت " - أى التسعة والاربعين .

وأحيانا تميزت المنشوبيات بصفات معينة وتعاليم معينة أو تقاليد خاصة بها ، فمثلا قلاية دورودى التى كان بها القديس دورثيئوس ، هذا الذى البس القديس يحنس كاما فى القرن الثامن اسكيم الرهبنة ، كان من تقاليدها ان لايصلى فيها ويعيش بين رهبانها الا من كان حافظاً المزامير والتسبحة غيباً وبهذا يتأهل ويصبح من رهبانها .

ويقول المؤرخ ايفلين وايت ، ان هذه المنشوبيات هى نفس موقع الدير فى القرن الرابع الميلادى . وتطورت من حياة الوحدة إلى نصف شركة ، وتميزت بهذه السمة المشتركة حتى العصور اللاحقة [١١٠] .

ويعود الامير طوسون ، ويعدد لنا هذه المنشوبيات ، والتى زارها بنفسه سنة ١٩٣٠ م ، فيقول واصفاً أياها :

[يوجد حول دير القديس مقاريرس جملة قلايات كبيرة وهي عبارة عن أديرة صغيرة ذات اسوار داخلها جملة حجر (يقصد الاطلال) . وتنسب كل قلاية إلى بلد كل رهبان هذه القلاية منها أو إلى شخص يكون مترئسا على من

---

١٠٧ - تاريخ البطاركة - جـ ١ - ص ١٢٠ - القس صموئيل السريانى .

١٠٨ - هو موهوب بن منصور الشماس - مؤرخ شهيد كاتب سير الأباء البطاركة .

109 - Butler - Ancient coptic churchs - Vol. 1 - P.295.

110 - Evylen white - Vol 2 - p.267 .

بها .ويبلغ عدد هذه القلايات ٤٠ قلاية وقد تهدمت كلها ولم يبق منها إلا اطلالها وقليل منها لم تزل بعض حيطانه قائمة] [١١١] .

ويذكر الامير عمر طوسون اسماء بعض من هذه المنشوبيات ، وإلى جانب هذا جمعنا ما يمكن جمعه من اسمائها وانحصر فى الأتى :

١ - قلاية بجيج Bijebij or bijij :

كان بها الأنبا يؤانس قمص شيهيت وتلميذاه ابرام وجورجى . والحقيقة ان هذه المنشوبية يبدو انها عبارة عن منشوبيتان متلاصقتان ، واحدة للقمص يؤانس ، والاخرى لابرآم وجورجى ، اذ يروى عن آبرام ان مسكنه بجانب مسكن ابيه الروحى ؟ .. " وهى القلاية المعروفة اليوم بأسم بجيج " .

ويقول السنكسار اليعقوبى لرينية باسيه :

" فلما عاد إلى ديره أى جورجى ، اتفُق ان أبنا ابرآم اراد الخروج إلى ذلك الدير فوجده واتفق معه وجاءوا إلى دير القديس ابو مقار وسكن عند الأنبا يؤانس قمص شيهيت فأعطاهم مكانا بالقرب منه وذلك المكان المعروف باقى إلى اليوم فى القلاية المعروفة ببجيج] [١١٢] .

واكد المؤرخ ايفلين وايت هذا الكلام ، كما اكد ذلك ايضا انها استمرت إلى القرن الرابع عشر تحمل هذا الأسم وعامرة بالرهبان [١١٣] .

٢ - قلاية درودى Teroti :

أوتيروتى ، وعرفت ايضا بقلاية دورثيئوس ، وهو معلم القديس يحنس كاما - الذى هو قديس دير السريان حاليا ، وقد جاء بسيرته ان تيروتى هو الذى البسه الاسكيم .

٣ - قلاية البتانون : [١١٤]

يقال انها ذكرت فى خبر التسعة والأربعين شهيداً شيوخ برية شيهيت ،

١١١- وادى النطرون - الامير عمز طوسون - ص ٢١٠ .

١١٢ - السنكسار القبطى اليعقوبى - جـ ٢ - ص ٥١٥ - ١٨ بشنس - لرنيية باسيه .

١١٣ - تاريخ الرهبنة بالصحراء الغربية - جـ ٢ - ص ٢٠٣ - تعريب .

١١٤ - مدينة أو مركز البتانون الحالية وتقع جنوب شرق طوخ النصارى وهى تابعة لايبارشية المنوفية.

والحقيقة انها لم تذكر فى هذه السيرة ، ولكن قيل انه جاء قوم من البتانون واخذوا جسد القديس أنبا يؤانس وذهبوا به الى بلدهم ، ويقال انه اقام عندهم مدة ثم اعادة الشيوخ الرهبان ذلك إلى مكانه [١١٥] .

ويبدو انه ببقاء جسده فى البتانون ذاع صيته فحضر معه (على اساس شهرته ومعجزاته) إلى دير ابو مقار بعض الاخوة للرهبنة ، ولكثرتهم صارت لهم قلاية كالتقليد ان تنسب كل قلاية ومنشوبية إلى بلد رهبانها وصار لهم أيضا شيخ روحى .. ولهذا يقول عمر طوسون :

" وكان شيخ راهب من البتانون وكان أب قلاية البتانون " [١١٦] - أى ان كل رهبانها وحتى ابيهم الروحى من البتانون .

٤ - قلاية الجمال :

ذكرت فى كتاب الأربعين خبر ، أنه كان انسان من برقة (ليبيا) يعمل بالحديد وكان كثير الصدقة ، وأنه مضى إلى وادى النطرون ، وتوحد به مدة ثلاث سنوات ، ثم قيل عنه : " ومضى فقام إلى دير القديس أنبا مقاريرس ودخل إلى قلاية صغيرة تعرف بقلاية الجمال " [١١٧] .

٥ - قلاية غوريال Ghurial or Augial :

وهى بجوار قلاية دوروى المذكورة سلفاً [١١٨] ، وزارها البابا بنيامين الـ٨٢.

٦ - قلاية دنشتيرى (دير أنبا زكريا) [١١٩] :

The great cell or Dinishtiri

تخرج من هذه القلاية البابا ميخائيل الخامس (١١٤٦- ١١٤٧ م) ، فقد جاء فى السنكسار القبطى : " هذا البابا الجليل كان راهبا من قلاية تعرف

---

١١٦ - وادى النطرون - ص ٢١٢ - عمر طوسون .

١١٧ - مخطوطة " الأربعين خبر " - ميامر دير السريان رقم ٢٨٤ .

118 - Evylen white - Vol 2 - P.363

١١٩ - تسمى بدير انبا زكريا لانه هو الذى ابتناها ، ومن كبر حجمها سميت دير واشتهرت بالقلاية الكبيرة " دى نشتى رى " وهى مشتقة من كلمة قبطية .
انظر تاريخ البطاركة جـ ٣ - ص ٣٩ - طبعة القس صموئيل السريانى .

بدنشتيرى بدير القديس ابو مقار " [١٢٠] . وقد اقام هذا البطريرك اسقفاً من اولاده بهذه القلاية .

٧ - قلاية البهمابسيت الـ ٤٩ - Bihima - absit :

وهى قلاية الشيوخ التسعة والأربعين شهداء برية شهيت التي وضعت اجسادهم الطاهرة بها ، وغالبا كانت القلاية على اسم كنيسة بأسمهم ودشنها البابا بنيامين الأول الـ ٣٨ فى زيارته الاولى للدير سنة ٦٣١ م فى ٢٦ طوبة يوم عيد استشهادهم [١٢١] .

٨ - قلاية دكنونية - Daknunieh

وزارها البابا بطرس الخامس الـ ٨٣ خليفة البابا بنيامين الـ ٨٢ ، ويبدو انها كانت قلاية المطبخ و المخازن ، وهى مستمدة أيضامن كلمة قبطية [١٢٢] .

٩ - قلاية درنيا (أو ديرنبا - درنبا - دنهبا) Danhabeh

وقد تخرج منها الأب البطريرك الانبا مينا الـ ٦١ :

" وهو من أهل صندلة تلميذ لراهب قديس من دير أبو مقار من قلاية تعرف بدرنبا " [١٢٣] وتسمى هذه القلاية احيانا درنابا [١٢٤] dernaba .

١٠ - قلاية دكنكفرى Dekenkufry :

وخرج منها الأب البطريرك الأنبا ثاوفيلس الـ ٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣م)[١٢٥].

١١ - قلاية دنجاية :

وخرج منها الأب البطريرك الأنبا شنوده الثانى الـ ٦٥ (١٠٣٢ -١٠٤٦م)

١٢ - قلاية بربيروس Birbirhos :

وسميت أيضا cell of saksik . ظلت عامرة حتى ايام البطريرك يوحنا السادس (١١٨٦ - ١٢١٦م) .[١٢٦]

---

١٢٠ - تاريخ البطاركة جـ ٣ - ص ٣٦ - طبعة القس صموئيل السريانى .

121 - Evylenwhite - Vol 2 - P. 370, 237
122 - Abid . P.363
123 - Evylen white - Vol 2 - P 395
124 - Abid - P.362, Renaudot history. Pat. Alex. p 351.
125 - Abid - P.339
126 - Abid - P.339

١٣ - قلاية الدماهرة (دمنهور Damanhur) :

اشتهرت بوجود النساخ وقد ذكرها الأنبا ساويرس ابن المقفع بتاريخ البطاركة سنة ١٢٧٥م . وكل رهبانها من مدينة دمنهور - محافظة البحيرة[١٢٧].

١٤ - قلاية سدرى Sedri :

نسمع عن قلاية سدرى فى زيارة البابا بنيامين الثانى إلى منطقة وادى النطرون :

[.. ذهب بعد ذلك إلى قلاية المجمع (غالبا الدكنونية) حيث بدأوا بترتيب مواد الميرون . وبعد ان اقام القداس بالدير توجه لزيارة قلالى ومنشوبيات الأباء المتوحدين : قلاية سدرى وقلاية ديرنابا] [١٢٨] .

١٥ - قلاية برسينى Barsini :

بعدما زار البابا بنيامين الثانى قستاليه دير ابو مقار (اى الدير بأسواره وحصنه وكنيسته) : " فى اليوم السبت تناول الافطار فى قلاية بيجيج ، وسجد له رؤساء الرهبان هناك . وفى اليوم الأحد الرابع من الصوم زار قلاية برسينى والقلالى المجاورة .. ثم قام بزيارة عدة أديرة اخرى " [١٢٩] .

١٦ - قلاية بلتوس Biltaus :

زارها البابا بطرس الذى خلف البابا بنيامين الـ ٨٢ [١٣٠] .

الحصون والمنشوبيات وانحسار القلالى :

بعدما اعتدى البربر على الرهبان التجأوا إلى بناء الحصون وبنوا فيها ايضا قلالى ليقضوا بها الوقت وحتى يتجنبوا عودة البربر . وانتشرت الحصون عبر أديرة مصر كلها تقريبا ، تفاديا لهجمات البربر من الصحراء الغربية . وخوفا من هجمات البدو على الأديرة الشرقية والجنوبية . ويبدو ان هذه الحصون لم تف

---

127 - Abid - P.363

١٢٨ - عن مخطوطة لتكريس الميرون - وايضا الخريدة النفيسة لتاريخ الكنيسة - جـ ٢ - ص ٤٢٩ .

١٢٩ - الخريدة النفيسة جـ ٢ - ص ٤٢٩ .

130 - Evylen white - Vol 2 - P.363

بالغرض تماما فسرعان ما ظهرت الأسوار فى القرن التاسع .

ولقد وجدنا ان ما بقى من منشوبيات دير أبو مقار هو عدد قليل جدا ، بعدما وصل عددها إلى حوالى الالف منشوبية ، فالمؤرخ ابيفانيوس الذى من أورشليم (كان راهبا رحالا) يصف دير ابو مقار ، فيقول :

" كان الدير كالقلعة يحوى الف قلاية " (١٣١) .

وانحسرت المنشوبيات وصارت اطلالاً مع كثرة هجمات البربر والبدو ، وكذلك بسبب ماعاناه الاقباط والرهبان من ثوران بعض الحكام الذين تقلدوا مقاليد الولاية عليهم ، فهدموا من الأديرة والكنائس الكثير . فنجد ان عدد أديرة مصر فى سنه ١٢٠٠م كان بالمئات (حوالى ٨٣٤) ووصل الى ٧٤ ديرا فقط فى وقت كتابه المقريزى لكتابه الخطط سنه ١٣٤٠م (١٣٢) .

وتكالبت العوامل لتختفى مناطق رهبانية بأكملها تحت الرمال بعدما كانت عامرة بالاف الرهبان ، مثلما حدث فى منطقة كيليا التى جاء عليها القرن التاسع وهي قابعة كلها تقريبا تحت الرمال وما بقى منها فهو اطلال مهجورة تماما . هذا غير الاف من المنشوبيات التى كانت منتشرة حول الأديرة التى تركها الرهبان ليدخلوا أسوار الدير فى عجلة من امرهم هربا من سيف الطاغى ايا كانت هويته ، بربرى أو بدوى أو مضطهد ... الخ .

ورغم هذا وجدنا بعض المنشوبيات القليلة جدا التى تناثرت هنا وهناك حول بعض الأديرة وحتى العصور الوسطى . منها بالطبع قلالى دير ابو مقار التى اندثرت فى القرن الرابع عشر .. وكذلك نسمع عن قلاية بهوت Pehoout حيث ذكرت فى القرن الثانى عشر بهذا الأسم ، وهى تقع قرب دير يحنس القصير بوادى النطرون . وكذلك نجد منشوبيات بدير شهران ودير القصير البغل .

فقد كان لدير شهران (دير القديس برسوم العريان الان) بستان مساحته ستة أفدنه وفيه نخيل مثمرة وارض زراعية وبه رهبان ، ويبدو ان رهبانه توحدوا

---

131 - Epiphanius, Hogiographites, Uisit - Ed - Dressel - P.6

نقلا عن ايفلين وايت

١٣٢ - دليل المتحف القبطى - ص ٢١١ - ٢٧٠ - لمرقص سميكة باشا .

بالجبال القريبة بالمقطم . كذلك فدير القصير كان حوله صوامع :

" الطريق إلى هذا الدير من جهة مصر فيه صعوبة أما من قبلية فسهل الصعود والنزول . وألى جانبة صومعة لاتخلو من حبيس " (١٣٣) .

لايعتقد انه كان هناك منشوبيات حول الأديرة - بأستثناء بعض الحالات القليلة - من بعد القرن العاشر ، واقتصر الامر على اسوار اسفلها باب صغير ، تحمى الرهبان ، فمثلا ، عندما زار البابا بنيامين الثانى أديرة وادى النطرون سنة ١١٩٩م ، لم يجد او يسمع عن متوحدين إلى ان غادر الدير (١٣٤) .

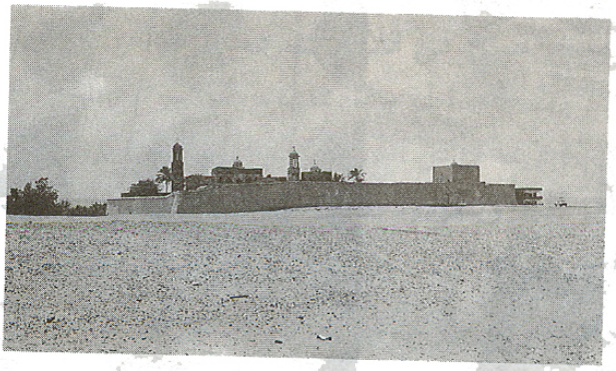

١٣٣ - الشباشتى - الديارات ، ص ٢٨٤ - ٢٨٨ ، .. المقريزى المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ - ص ٥٠٢ - ٥٠٣ . وسمى دير البغل لان وجد بغل كان يستقى عليه الماء ..

" فاذا خرج من الدير الموردة ، وهناك من يملاء عليه ، فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير"

134 - Evylen white - Vol 2 - P.363

الفصل الثالث

القلالى داخل الأسوار

بالقرن العاشر تقريبا اصبحت القلاية التى يسكنها الراهب داخل الأسوار . ففى حياة البابا شنوده الأول (٨٥٩ - ٨٨١ م) بنى أول سور حول الكنيسة والحصن ، وقد بناه هذا البطريرك فى جرأة متناهية وأمام البربر انفسهم بدير أبو مقار [١٣٥] .

ولم تمر فترة وجيزة حتى حذا بقية الرهبان بالأديرة الأخرى هذا الطريق وبنوا أسواراً عالية لحماية الرهبان من غدر البربر ، وكذلك البدو وغيرهم ؟.. ولقد كان ما اقامه البابا الأنبا شنوده الـ ٥٥ من ابراج ومساكن فى خلافة العباسين كان لحماية الرهبان وحفاظاً على تراثهم العظيم ، وهكذا كان غرض الرهبان الأخرين أيضا [١٣٦] .

وهكذا وبدون عمد نشأ نوعاً جديدا من الحياة الرهبانية ، ففى داخل الأسوار كان كل راهب يعيش فى قلاية منفردة ، فى حين انه يشترك مع المجمع فى الصلاة والعمل . الا ان هذا لم يخل بمفهوم القلاية الأصيل ، فأستطاع البعض ان يحبس منفرداً فى قلايته داخل الدير وكأنه فى وحده ، وبشتى الطرق والوسائل حاول الرهبان ان يتوحدوا وينفردوا خارج أسوار الدير .. وهذا لم يتحقق إلا فى القرن العشرين ، كما سنرى ؟! .

وصف القلالى داخل الأسوار :

- بأنحسار القلاية داخل الأسوار بدت وكأنها عادت إلى شكلها البسيط القديم ، إذ لايوجد قباب أو حديقة أو سور خارجى . فقد عادت القلاية إلى الغرفة والغرفتين وأحيانا تكونت من ثلاث غرف .

---

١٣٥ - ولد هذا البابا فى البتانون ، وترهب فى دير أبو مقار ، عانى الكثير من الخائنين واتهم بالسيمونية ولكنه برئ من هذه المكيدة ، وسجنه احمد بن طولون وخرج مكرما - تنيح فى ٢٤ برموده ٨٨١م .
انظر سيرة البابا شنوده الأول الـ ٥٥ - للاستاذ نبيه نصر رزق .

١٣٦ - وادى النطرون - الأمير عمر طوسون - ص ١٩٨ .

- اصبح لغرفة المحبسة أهمية عظمى ، فهى المكان الوحيد الذى ينفرد فيه الراهب تماما بنفسه ، ولم يحق لاحد ان يدخلها غير الراهب صاحب القلاية ورئيس الدير وأب اعترافه الروحى . الا ان المحبسة لم يعد لها أى زخارف أو حنيات بالشرقية .

- معظم مبانى القلالى كانت ملاصقة لسور الدير ومتوزعة على جوانب الدير . وبنيت من نفس حجارة الأسوار ، والقليل منها بالطوب . وبالطبع السقف كان مستوياً لانه كان يعلوه أحيانا كثيرة قلالى اخرى ، أو غرف علوية .

- كانت القلالى تتوزع من دهليز طويل أو من ممر واحد ، وتفتح الأبواب عليه ، وكما فى دير الأنبا هدرا بأسوان (دير القديس سمعان) ، ودير الفاخورى باسنا (١٣٧) .

- ووجدنا الرهبان قد اقاموا بالقلالى بعض النوافذ والفتحات للتهوية ، وفى دير الأنبا هدرا وجدنا ممرا هوائياً يمتد من الناحية البحرية للقلالى وحتى الناحية القبلية ، لضمان سريان تيار الهواء وتغيره بالقلالى (١٣٨) .

- تنوعت عمارة بعض القلالى داخل الأسوار ، ففى دير الأنبا أنطونيوس ، وجدنا القلالى القديمة ، مبنية عل طراز واحد ، وتتكون من طابقين ، الأسفل منهما به حجرتان أو ثلاث (١٣٩) .

وفى دير السريان وجدنا القلالى القبو - سقفها يشبه الطاقية Semi dome ، ويدخل اليها من أبواب منخفضة ، فكان على داخلها ان ينحنى قليلا.

---

137 - Monastic Arch . in Egypt - P.110

138 - Abid.

١٣٩ - القلايات فى دير الأنبا أنطونيوس حديثة وقديمة ، والحديثة منها تكون صفين (خارج السور الذى اقامه ابراهيم الجوهرى) وبناهما الأنبا كيرلس الرابع - أبو الأصلاح ، أما القديمة ففى داخل الأسوار ، الا انها ليست مبنية فى عصر واحد ، وليس بينها ما يرجع إلى عصر بناء الدير الأول فى منتصف القرن الرابع ، قلالى دير الانبا بولا تشبه إلى حد بعيد قلالى دير الأنبا أنطونيوس .

انظر كتاب " فى صحراء العرب والأديرة الشرقية " - ص ١٠٠ - لحبشى وزكى تاوضروس .

وفى دير الأنبا بيشوى وجدنا سقف بعض القلالى على هيئة أنصاف براميل، وملحق بها دورة مياه ، وهى من القلالى الحديثة بالدير .

- هذا بالطبع إلى وجود قلالى بالحصون ، وقد استخدمها بعض الرهبان ليحبسوا فيها بعض الصيامات ، هذا كمحاولة ان يحققوا شيئا طالما تمنوه الا وهو الانفراد تماما بالله فى البرية والجبل ، وبعد ان يختبروا حياة الجمع ؟! ..

+ اعتاد أحد الرهبان ان يقيم بقلاية قريبة من احد الأديرة ، وكان يقوم بممارسات نسكية بالغة الشدة والحرمان ، وقد اعتاد الزوار الذين يترددون على الدير ، بين حين وأخر ، ان يغلظوا عليه حتى يشاركهم فى تناول الطعام قبل الموعد الذى حدده لنفسه، فسأله بعض الأخوة قائلين :

" الا يضيرك هذا التصرف من جانب الزوار يا أبانا ؟ " ..

فأجابهم قائلاً : " على الرغم من ان هذا التصرف يضيرنى فعلا ، ولكنه يساعدنى على ان احرم نفسى من رغبتها " !!

بلاديوس - التاريخ اللوزياكى

الفصل الرابع

القلالى الآن

لم تنحسر القلاية داخل الأسوار فقط ، بل أمتد الأمر إلى الأديرة نفسها . فى وادى النطرون ، وكمثال ، اقتصر الامر على أربعة أديرة فقط ، وهى - دير أبو مقار - دير السريان - دير البراموس - دير الأنبا بيشوى .

وقد كان القرن الرابع عشر الميلادى ، نذيراً شؤماً على الأديرة ليس بوادى النطرون وحسب ، بل عبر ربوع مصر كلها . وقد اشتركت عدة عوامل ساهمت بقدر كبير فعال فى خراب كثير من الأديرة القبطية [١٤٠]. فالنمل الابيض القارض، قرض خشب الأديرة التى نرى اطلالها الان بوادى النطرون والتى تقع إلى الجنوب الشرقى لدير الأنبا بيشوى الحالى (على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا).

وكذلك كان أنتشار مرض الطاعون فى مصر سبباً فى موت مئات الرهبان وحصدهم واحداً تلو الأخر ، فلم يتبقى فى بعض الأديرة إلا راهب واحد أو أثنان على الاكثر ، هذا ان لم يخل تماما من الرهبان [١٤١] .

وإلى عهد قريب جدا لم يطرأ على الأديرة تغير يذكر ، الا بعض الترميمات المستعجلة الهامة والضرورية أو الاصلاحات البطيئة المتروية .. وإلى ان جاء منتصف القرن العشرين ؟!

---

١٤٠ - تضافرت عوامل عديدة على خراب الأديرة منها : انتشار وباء الطاعون سنة ١٣٧٠ م وولى هذا كارثتان رهيبتان . الاولى حدوث مجاعة سنة ١٣٧٤م و تبعها ظهور هذا المرض الأسود مرة أخرى بصورة افحش عن الاولى ، وحل الخراب تماما سنة ١٣٨٨ م ، هذا بعد ان كانت الأديرة العامرة كثيرة نوعا وحتى سنه ١٣٤٦م . وهناك عامل ساهم فى الأمر وهو ما قام به محمد بن قلاوون حاكم مصر فى مبتدأ القرن الرابع عشر من هدم للأديرة والكنائس .

١٤١ - الدير الوحيد الذى لم يخل من الرهبان قط هو دير السريان العامر ، حتى فى الفترة من ١٦٦٧ م الى ١٧٦٧ م ، تلك الفترة التى خلت فيها بعض الأديرة تماما من الرهبان .. انظر أديرة وادى النطرون - ص ١٦٧ - الأمير عمر طوسون .

منتصف القرن العشرين

بدأ التعمير فى الأديرة يأخذ دوراً ملحوظاً ، وأول ما ابتدأ كان بدير السريان . فقد بنى الأنبا ثاوفيلس أسقف ورئيس الدير المتنيح ، أول مبنى قلالى جديدة من نوعه فى أديرة مصر كلها ، وهو اول مبنى يبنى بالخرسانة المسلحة والطوب الاسمنتى ، ووصل ارتفاعه إلى أربعة ادوار (حاليا خمسة ادوار) ، وفى داخل أسوار الدير الأثرية .. وكما اقام نفس الأسقف الجليل منشأت اخرى عديدة وفى دير السريان أيضا (تنيح فى ٥ ديسمبر ١٩٨٩م).

واعتلى قداسة البابا شنوده الثالث الـ ١٧ السدة المرقسية ، واخذ على عاتقه مهمة البناء والتعمير فى الأديرة ، سواء فى المعمار أو الأستصلاح الزراعى، وبنى القلالى والصهاريج والمخازن والمضايف وبيوتا للخلوة ... وقد اشرف قداسته على بناء القلالى وخطط تفاصيلها بنفسه .

فلا نقرأ فى تاريخ البطاركة كله ، عن تعمير واسع شامل ، مثل الذى رأيناه فى عمل نعمة الله مع البابا شنوده الثالث . وهو تعمير لايشمل ديرا واحدا فحسب ، انما يشمل عدداً كبيرا من الأديرة العامرة ، وغير العامرة . بل فيه إعادة لمجد أديرة قديمة ، اندثرت وخربت ، فأعيدت مرة اخرى إلى الحياة وإلى العمران[١٤٢].

ففى دير الانبا بيشوى والسريان بنى قداسته عدداً من عمارات القلالى والتى تحتوى على عددٍ كبير من القلالى قد يصل إلى الستين قلاية . وهذه العمارات من عدة طوابق ، كل طابق به دهليز طويل تفتح عليه القلالى . وأحيانا يعلو العمارة صهريج ضخم للمياه .

وارتفع بناء أخر ضخم بدير البراموس يحتوى على ٣٦ قلاية وهو يشبه مبانى القلالى فى أديرة الأنبا بيشوى والسريان .. ولاتزال هذه العمائر تزداد بالأديرة واحدة تلو الاخرى .

وكل قلاية أو وحدة من هذه العمارات عبارة عن غرفتين تفتحان على بعضهما ، واحدة للضيافة بين الرهبان ، واخرى كمحبسة للصلاة والكتابة والقراءة

---

١٤٢ - مجلة الكرازة - السنة التاسعة - العدد ٤٦ - ص ٤ .

. واضيف فى بعض العمارات ، ولكل قلاية ، مطبخ ودورة مياه . الا ان فى عمارات اخرى وجدت المائدة ودورات المياه المشتركة للرهبان [١٤٣] .

القلالى المنفردة والمغارات :

+ أنا فى البيداء وحدى ... ليس لى شأن بغيرى

لى جحر فى شقوق التل ... قد اخفيت جحرى

وسامضى منه يوما ... ساكنا ما لست أدرى

سائحا أجتاز فى الصحراء ... من قفر لقفر

ليس لى دير فكل البيد ... والآكام ديرى

لا ولا سور فلن يرتاح ... للاسوار فكرى

أنا طير هائم فى الجو ... لم اشغف بوكر

أنا فى الدنيا طليق ... فى اقامتى وسيرى

أنا حر حين اغفو ... حين أمشى حين أجرى

وغريب أنا أمر الناس ... شئ غير أمرى

قصيدة شعرية لقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث

---

(١٤٣) نشأت فى الأديرة الجديدة المعترف بها حديثا (الانبا باخوميوس - مارجرجس الرزيقات) ، قلالى حديثة ولكنها من صف واحد وبأسقف من قباب وهى تشبه الى حد بعيد القلالى قديما وكما فى دير الأنبا باخوميوس بحاجر ادفو ويرأسه نيافة الأنبا هدرا أسقف اسوان .

إلى جانب القلالى الجديدة المشتركة هذه ظهرت القلالى المنفردة ، فلأول مرة وفى عهد قداسة البابا شنوده الثالث تظهر القلالى المنفردة خارج اسوار الدير ، وبعد غيبة تصل إلى عشرة قرون تقريبا . وأول ما ابتدأت هذه القلالى كان بدير السريان العامر ، ووصل عددها إلى ٤٥ قلاية تقريبا - منها قلاية خاصة بقداسته .

وكذلك ظهرت القلالى الخاصة بالمتوحدين ، إذ سرعان ما امتلأ بهم الجبل المحيط بأديرة وادى النطرون ، وخاصة بديرى الأنبا بيشوى والسريان . وتتكون كل وحدة من هذه القلالى من غرفتين ومطبخ صغير ودورة مياه اصغر . وهذا النوع من القلالى يشبه القلالى القديمة الأكواخ التى نمت وصارت منشوبيات .. ولايختلف الامر الا فى مواد البناء .. وبالطبع العصر !

ووجدنا ايضا الحياة الروحية فى تقدم عجيب وسريع ، فنري انه قد انتشرت عدة مغارات لبعض المتوحدين وفى نفس المنطقة أيضا - بوادى النطرون .

ويسير بعض المتوحدين على النظام القديم ، وهو العودة يومى السبت والاحد من كل اسبوع إلى الدير لحضور الكنيسة والتزود بالمؤن ، والبعض الآخر قد تستمر وحدته إلى اسابيع .

ويوجد بكل دير الان عدة متوحدين يسكنون المغارات المنتشرة حول ديرهم ، كما فى دير السريان و البراموس والأنبا بولا والأنبا أنطونيوس .. وغيرهم . الا ان بعض الأديرة ، ونتيجة ان المساحات الزراعية حاصرتها تماما (كدير المحرق) ، فأصبح من الصعب عليهما حفر مغارات أو بناء قلالى لمتوحدين خارج الأسوار .

+ واذا اوتيت أن تزور صحراء مصر فسوف ترى هذه الصحراء وقد صارت افضل من فردوس ، حيث يوجد عشرة الاف خورسا من الملائكة فى هيئة بشر ، وجماهير من الشهداء والأحياء ، وجماعات من العذارى ، حيث انسحقت كل طغيات الشيطان وأضاء ملكوت السيد المسيح فى بهائه .

فبلاد الحكماء أم الشعراء والسحرة وسيدة الأختراعات

السحرية احتقرت كل ما كان لها وصارت تفتخر فقط بجماعات الصيادين ، حاملة فوق رأسها ذلك العشار " متى " ، وذلك الخيام " بولس " وحمل الصليب .

وهذه الامور المفلحة لاتجدها فى المدن فقط بل وفى الصحارى أيضا اكثر من المدن ، لانه بالحقيقة فى كل مكان هناك فى مصر حظيرة للسيد المسيح ، وقطيعا ملكيا ، وسلوكا وفضائل وقوات من فوق ؟!

القديس يوحنا ذهبى الفم

من العظة الثامنة لإنجيل متى

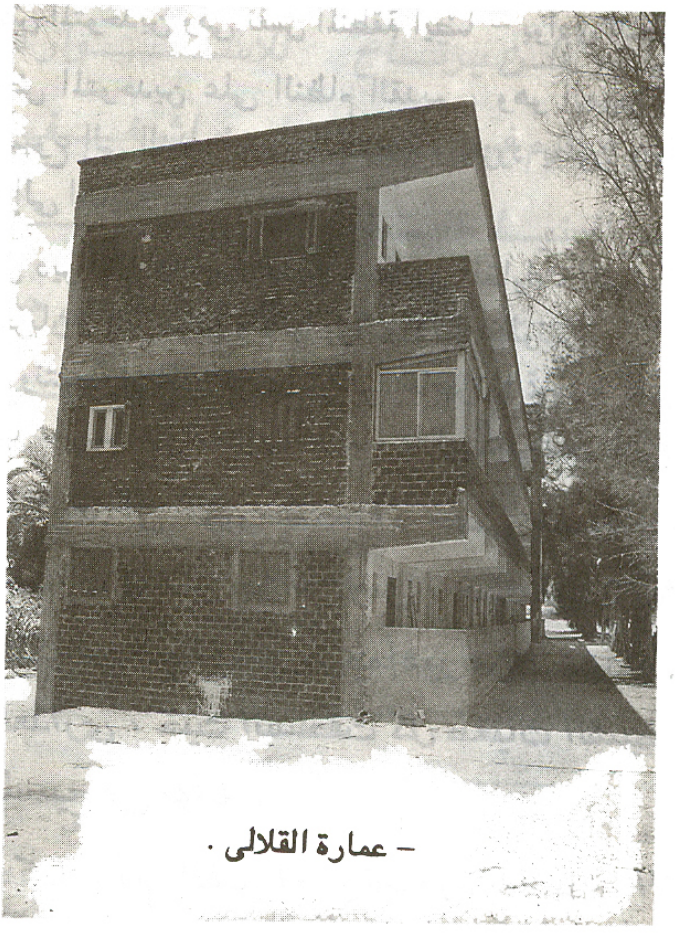

– عمارة القلالى .

الفصل الخامس

القلاية ومشتملاتها

تعمد الرهبان البساطة فى كل شئ ، ولو القينا نظرة على محتويات قلاية الراهب من الداخل ، لوجدنا انها كانت أولا شبة خالية ، إلا من بعض الضروريات الأساسية ، وحتى هذه الضروريات كان يمكنه الاستغناء عنها وتحت فضيلة التجرد.

وكانت قلالى الرهبان فى العصور الاولى دربا فى النسك والتقشف ، فانه ان استطعنا ان نحدد غطاء ثابتا معروفا للراهب ، ما وجدنا فان الراهب فى معظم الاحيان ينام دون غطاء تقريبا . فتارة يستخدم ملوطة الجلد الخاصة به ، وتاره اخرى الخيش . بل حتى الوسائد (المخدات) لم يملكها ، كان يكتفى بقطعة من الحجر تحت رأسه .

ومن درجة التقشف وجدنا كاسيان فى المناظرة الاولى ، يصف مسند الرأس الـ Bundles ، فقال عنه انه حزمة من سيقان البردى الخشن المربوطة بجانب بعضهما البعض وبطول ستة اقدام ، لتشكل حزمة اسطوانية طويلة صلبة ، وكانت تستخدم ايضا كمقاعد للأخوة فى وقت الخدمة (أى تلاوة المزامير)[١٤٤].

وقد كانت تبدو ككراسى منخفضة وكمسند للاقدام foot stool ..وهنا يكمل كاسيان الشرح قائلا :

" فى وقت اخر يضعها الرهبان تحت عنقهم عندما يذهبون للنوم ليرفعوا بها رأسهم قليلا ، فهى ليست صلبة جداً ، لكنها مناسبة وجيدةً [١٤٥] .

---

١٤٤ - المعاهد لكاسيان ك : ٢ ، ف ، ١٢ .. ويقول كاسيان ايضا ان رهبان مصر استطاعوا ان يجعلوا قانون الصلاة بالاثنى عشر مزموراً مريحا لأجسادهم ، اذ ان العادة ان يجلسوا على كراسى منخفضة ما عدا الواقف فى الوسط يسبح المزامير .

145 - N.P.N fathes - Conf . No. 1- ch.22 - P.307

ولقد سميت ايضا امبريميوم Embrimium وهى كلمة ذات اصل مصرى ، وهو نفس المسند الذى استخدمة رهبان القديس باخوميوس بأسم Ebymium ، عموما كانت المساند فى القلالى خاصة بالمرضى .

اى ان الوسادة الصلبة مناسبة وجيدة ، ولم يقف الامر عند الجلوس والنوم ، فقد امتد إلى اثاث القلاية ككل . فأن وجد فمائدة صغيرة (طبلية خشبية أو حجرية ثابتة) او هى فى نفس الطاولة التى يعمل عليها ، بالنساخة مثلا . وقد وجدت بعض الأدوات الرهبانية المستخدمة فى الطعام والشراب والطبيخ ، كالقصعات والأباريق والأوانى الفخارية .

واستخدم الرهبان السكين وعرفوا الملاعق والمغارف الخشبية ، وزجاجات وأجران الماء والزيت . وزكايب الحبوب وعلى الأخص القمح ، وأدركوا ايضا حجر المحك لإشعال النار .

ووجدت ايضا بالقلاية بعض الأدوات الخاصة بالعمل ، فيقول ايفلين وايت عنها :

[واحيانا كان يوجد فى كل قلاية ، كوم من سعف النخل ، وحبال الخياطة لاستخدامها فى صناعة السلال ، وضفائر من الخوص ، ومجموعة من السلال التامة الصنع .

وفى جبل نيتريا لابد انه كان هناك مغازل لنسج الكتان [١٤٦] . اما الناسخ فلابد انه كانت لديه مواد الحبر واوراق البردى هذا عير ادوات الكتابة . كذلك البلطة والمنجل لقطع اغصان النخيل ، وسلالم التسلق ..] [١٤٧] .

الدواليب الحائطية :

تميزت القلالى منذ بدء نشأتها ، وحتى عهد قريب ، وبالمبانى السميكة الحوائط ، بوجود الدواليب الحائطية - أى النوافذ المغلقة (المحفورة بالحائط) .. وهى ما تسمى بالقبطية شوشت .

هذه الدواليب منقورة بالحوائط ، وسواء كانت بالمغارة أو بالقلاية العادية المبناة ، فأن اهميتها تكن فى حفظها لمستلزمات الراهب . فهى كانت دولابا للكتب أحيانا ، وأحيانا اخرى كانت مخزنا للملابس ، وأحيانا لحفظ أدوات العمل

---

١٤٦ - وجدت كثير من انوال نسج الكتان فى بعض المنشوبيات ، وكانت لها طريقتها الخاصة وحجرتها الخاصة بالقلاية ، اذ ان النول كان يثبت فى الارض ويعمل عليه اكثر من راهب .

١٤٧ - ايفلين وايت - تاريخ الرهبنة بالصحراء الغربية - جـ ٢ - ص ١١٣ - تعريب .

.. وبالطبع كان لهذه الدواليب أبواب يمكن غلقها .

+ قالوا عن الأب آموى انه عمل ٣٠ كيلو جرام من القمح لوقت الحاجة . ولكن قبل ان تجف جيداً ، رأى فى المكان أمراً غير نافع ، فقال لأولاده تلاميذه : لنرحل من هنا .

حزن التلاميذ جدا . ولكن لما رأهم حزانى قال لهم : دواليب مليئة بكتب من الرق (مخطوطات) .. أتحزنون من اجل الخبز ؟ فى الواقع إنى رأيت البعض يغادرون بيوتهم تاركين كل شئ دون ان يغلقوا الأبواب ، بل تركوها مفتوحة على مصراعيها !

الأبوفثجماتا – أقوال الآباء الشيوخ

بعض الادوات الرهبانية الاخرى

لم يخل الامر بالطبع من بعض الاوانى الهامة كجرة الماء – الزير – البراميل، هذا غير سلة الخبز أو اليقسماط الناشف (خبز ناشف) والتى كانت تعلق لئلا تصلها الحشرات وليكون الخبز جيد التهوية .

ولقد وجد نوع خاص من الأوانى الفخارية الذى يدفن فى الحوائط ويوضع بين الحجارة أثناء بناء القلاية أو المنشوبية ، فكانت تبدو كفجوة عميقة بالحائط ، واستخدمت لحفظ الأشياء الثمينة والرفيعة للراهب .. واستخدم كذلك الرهبان الحصير لتغطية الأرضيات .

واستخدم الرهبان أيضا مفاتيح لقلاليهم ،فالسور الخارجى به باب يغلق بمزلاج من الخشب وقد يكون مفتاحه من الخشب أو الحديد على السواء [١٤٨] ... واستخدمها خاصة رهبان المنشوبيات .

ولقد استمر للقرن الثالث عشر يستخدم الرهبان الأطباق الفخار والقلل والقدر [١٤٩] . وإلى القرن الثامن عشر ظل الرهبان يستخدمون فى قلاليهم

---

١٤٨ – مرشد المتحف القبطى وكنائس الحصن الرومانى ص ١١٨ – لوديع حنا .

١٤٩ – نفس المرجع السابق – ص ١٥١ .

المصابيح الزجاجية الكيروسينية الملونة بعدما انتهى عهد المصابيح الزيتية[١٥٠].

+ من المتواتر عن الأنبا بيمن قوله .

" كما ان النائم على حصير فوق ارض منبسطة لايمكن ان يسقط، كذلك الإنسان المتواضع الذى يذلل نفسه لايسقط ابداً " !!

بلاديوس – التاريخ اللوزياكى

الزخرفة بالقلالى :

كان مبدأ الرهبان هو البساطة ، وان وجدت زخارف فلا تخرج عن شكل الصليب وبعض المواضيع المتواضعة ، كلها رسومات على الحائط . وكان إذا بنى الرهبان القلاية فأن زخارفها تكون بسيطة ، أما إذا بناها عمال مهرة فان العمل كان يخرج دقيق الصنع وزخارفها اجمل ما يكون .

واهتم الرهبان بزخرفة شرقيات محابسهم التى يصلون فيها ، ومعظم الصور لم تخرج عن السيد المسيح ، وبعض الآيات القبطية ، وذكر اصحاب القلالى .

لقد كان النساك يعتقدون ان الزخرفة الزائدة هى من الشيطان بينما النسك والتجرد والاماتة هم من عمل المتوحدين [١٥١] . ونحن فى انتظار ما تظهره الاكتشافات الحديثة بصدد هذا الموضوع بالذات .

+ قام الأنبا باخوميوس ببناء حجرة صلاة فى ديره وصنع عواميد وبيضها وزخرافها واصبحت ذات منظر رائع . واغتبط الأنبا باخوميوس جدا بالعمل لانه رآه حسنا ، وعندما عاد إلى نفسه حزن، واحس ان هذا من عمل الشيطان . لان حسن غرفة الصلاة سيجعل الرهبان تعجب بها ، وكذلك هذا المبني سيجعله هو نفسه محل للأفتخار والمجد الباطل .

---

١٥٠ – نفس المرجع السابق .

151 - Christian Antiquuities in the Nile valley - P. 20 .

وفجاة قام واخذ حبلاً غليظاً وربطها فى العواميد وصلى فى نفسه وامر الاخوة ان يساعدوه ويشدوا . وقعت العواميد وكل السقف إلى الأرض ، وقال للاخوة :

احترسوا كفاية ايها الأحباء ان لا تعطوا لاعمالكم زخارف اكثر من اللازم وخذوا احتراسكم الزائد على ان نعمة الله وعطيته تكون فى كل عمل تصل اليه إيديكم ، وان يكون العقل غير مهيأ ليسلبه الأفتخار !!

عن حياة الأنبا باخوميوس

مغارة الأنبا بيشوى

دير السريان

الباب الثانى

مفهوم القلاية الروحى من واقع اقوال الاباء

العلاقة بين الراهب والقلاية هى علاقة صميمة ، فهى بالنسبة إليه" سر نجاحه " فان سر نجاح الراهب هو تعلقة بالقلاية ، ففيها يجتمع بالله ، وفيها يفرح ، وفيها يبكى ، فيها يسهر يصلى ، فيها الخبرة والمنفعة ، فيها يسمو التميز بالسكينة وصفاء النفس ، فيها حياة روحية ، وهى أول درجة فيها ، بل والمدخل اليها .

وليس للقلاية معنى غير الانفراد والوحدة للاتحاد بيسوع المسيح ؟ .. وليس لها مفهوم أو معنى روحى غير الصلاة .. ولايتحد الراهب بالله الا بالصلاة .

والقلاية هى مقياس الراهب ، فالراهب الذى يعيش فى قلايته بثمر ، يعيش مع أخوته الرهبان - المنفتح عليهم تلقائيا بالمجمع - بثمر ايضا .. والراهب الذى يعيش فى قلايته فقط ليرتاح من الشركة مع اخوته فهو فيها بلا ثمر !

+ كان اخ يقيم فى برية طيبة ، فجاءه فكر يقول له : كيف تقيم هنا بدون ثمر ؟ .. إنهض وإذهب إلى دير فيه حياة مشتركة ، فيكون لك فيه ثمر . فقام وجاء إلى الأب بفنوتيوس واطلعه على افكاره ..

فقال له الشيخ : إذهب واقم فى قلايتك واتل صلاتك صباحا وعشية وفى منتصف الليل . وعندملا تجوع كل . وكلما عطشت ، اشرب . واذا تعبت أو نعست ، إذهب إلى النوم مقيما فى أرض مقفرة ولا تقتنع بما أوصى لك به فكرك.

فجاء إلى الأب يوحنا واخبره بما قاله له الاب بفنوتيوس ، فقال له الأب يوحنا : لا تتل أبدا صلاة مشتركة ، فقط لازم قلايتك .

فقام ومضى إلى الأب أرسانيوس ، واطلعه على كل شئ ، فقال له : اعمل بما قاله الأباء ، لاننى لا اقدر أن اضيف شيئا إلى كلامهم . فمضى راضيا مسروراً!

الأبوفثجماتا – أقوال الأباء الشيوخ

والقلاية هى الحب ، هى الجنة المغلقة والينبوع المختوم (نش ٤ : ١٢) ، فكل مجد أبنه الملك من الداخل ، فى خدرها (مز ٤٥ : ١٠) .. ولذا فهى ليست كالقبور المبيضة تظهر من الخارج فقط جميلة ، بل ان داخل الكأس كخارجه ايضا ، نقى ومصفى بالذهب (متى ٢٣ : ٢٨) .

القلاية حياة نمو ، فتقدم الراهب الروحي هو مدى تقدم الداخل ، والداخل لا ينمو إلا فى القلاية ... ففيها يسقط ويقوم ، يتعلم ويدرك ، يتوب ويسجد ، يصرخ إلى الله أمام الصليب ، حقا هى العشرة مع الله .. هى عربون الحب الأول ..

+ ماذا أحب فيك يارب حينما أحُبك ؟ انه نور وضياء . هذا هو ما احب !

وهو نغم شجى وعبيق وعناق ملتهب ! هذا هو ما احب حينما أقول انى احبك ياربى !!

انه إنسانى الداخلى الذى يسعد بذاك النور وذاك العبيق وذاك العناق !..

– يشرق فى نفسى اشراقا لا يحتويه فضاء مهما اتسع ..

– ويوقع فى داخلى نغما لايقوى أن يمحوه الزمن ..

– ويفيح اريحا عطراً لاتزحزحه الريح ..

– ويذيقنى حلاوة لا تؤول إلى نقصان ..

– ويلتصق بى مليا فى عناق لا يعرفه شبع ..

هذا هو ما أحب حينما اقول انى احبك ياربى !

القديس اغسطينوس

القلاية والانجيل المقدس :

واستمد الآباء الشيوخ القدامى ، فكرة وخبرة الجلوس بالقلاية وانها اساس للعمل الداخلى ، من واقع الإنجيل المقدس :

ففى سفر الجامعة يقول الحكيم " .. الهدوء يسكن خطايا كثيرة " (جا :١- ١٤) . واين يهدأ الانسان الا فى الخلوة ؟ اين تجد النفس كل ذلك اكثر مما فى البرية وداخل اسوار الدير والقلاية [١] .

وكذلك يقول اشعياء النبى .. لانه هكذا قال السيد الرب قدوس اسرائيل : " بالرجوع والسكون تخلصون ، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم " (اش ٣٠ : ١٥) . ويقول أرميا النبى : " جيد للرجل ان يحمل النير فى صباه يجلس وحده ويسكت " (مرا ٣ : ٢٧) . ! فى أى مكان يمكن تنفيذ وصية النبى " يجلس وحده ويسكت "؟.. فى البرية بعيدا عن الخلطة والمجتمعات الصاخبة ! بالجبل ، فى القلاية ، فى عمق السكون ، فى قمة الهدوء ، حيث يجد الراهب الجو مهيأ والعوامل التى تساعده على التقدم الروحى والنمو فى حياة الفضيلة [٢]..

+ اين تتوفر فرص الرجوع للنفس ومحاسبتها وبالتالى الرجوع إلى الله وتقديم التوبة اليه . أين يتوفر السكون والهدوء والطمانينة التى تساعد على خلاص النفس ونوال القوة الروحية اكثر مما فى البرية حيث العزلة والتأمل فى الله وطلب محبته وتنفيذ وصاياه .

---

١ – سمو الرهبنة – الأنبا متاؤوس – ص ١٣٢

٢ – نفس المرجع السابق

ثم فحص النفس ونتقيتها . لذلك سميت برية الاسقيط أيضا " " برية شيهيت "" وهى كلمة قبطية تعنى برية ميزان القلوب " وذلك لانها تساعد الراهب على ان يقتنى حساسية روحية ومعرفة صحيحة للوصية بها يزن حياته الروحية ويتعرف على كل اسرار نفسه وخباياها ، فيعمل بالتالى على تقويم اعوجاجها واصلاح عيوبها حتي يعمل ثقلا روحيا ويمتلئ بأثمار الفضيلة فيحصل على الأبدية السعيدة مع الابرار والتائبين ، ويتفادى مصير بيلشاسر الشرير الذى قيل عنه ": (وزنت بالموازين فوجدت ناقصا ") (دا ٥:٢٧) !!!

سمو الرهبنة

الأنبا متاؤوس الأسقف العام

القلاية اتون النار :

يقول القديس أنطونيوس : " قلاية الراهب هى اتون بابل حيث كان ابن الله". فى القلاية تثقل الروحيات ، يتفاوت الوضع من الالم إلى الفرح ، تمتزج حلاوة العزلة وبهجة المجمع ، بقسوة الوحدة وعذابها (أى كثرة حروبها).

ابدا ما كانت القلاية يوما نزهة ، أو مكاناً يقرأ فيه الراهب ويكتب ، بل هى حياة استشهاد يومية ... ولكن مع كل محاربات الشيطان الرهيبة فى مجمع الشركة أو الوحدة فكثيرا ما يعقبها حلاوة الانتصار والذى غالبا ما يكون من نصيب الراهب .. ووسط الاتون .

+ قال الاخوة : ما معنى قول أنبا انطونيوس ان قلاية الراهب هى اتون بابل حيث كان ابن الله ، وهي عمود النار الذى منه كلم الله موسى ؟! ..

قال الشيخ : كما ان النار لها خاصيتان احدهما الحرارة

والاحراق ، والاخري النور والبهجة . فهكذا جلوس القلاية فيه معنيان :احدهما صعب ويعوق المبتدئين لكثرة الملل والحرب .. والاخر يفرح ويبهج الكاملين الذين جازوا الأوجاع ووصلوا إلى طهارة القلب ومناظر النور (التأوريا)..

فأن جاهد المبتدئون وصابروا حتى يغلبوا الأوجاع أدركو عون النعمة كما أدركت الثلاثة فتية حتى يغلبوا الاوجاع وينصرف عنهم القتال ويستحقون نور مجد الله ؟!

تفسير البراديسوس

لفلكسينوس اسقف منبج

الثبات فى القلاية

يقول القديس أنطونيوس : " كما ان السمك ان بقى مدة خارج الماء يموت ، كذلك الرهبان ان تأخروا عن قلاليهم أو قضوا وقتهم مع أهل العالم بددوا قوة السكينة فيهم . فعلينا إذا ان نسرع إلى قلالينا كما يسرع السمك إلى البحر ، لئلا بتأخرنا خارجا ننسى يقظتنا الداخلية .

ان الاختلاط بالعالم يصيب الراهب بالتلف ، وبالضبط كما تصيب التفاحة التالفة والوحيدة بالكيس بقية التفاحات الصالحة الجيدة .. فان فكرة واحدة من العالم تستطيع ، إذا تملكت من الراهب ، ان تذهب بعناء وتعب سنين من اعماله وجهاده .

ان إبتعاد الرهبان عن العالم ليس كرهاً فيه ، بل هو الخوف من ان يتغلغل (ودون قصد - ودون ان يدروا) العالم إلى حياتهم .. فيتهلهل هدوئهم وتتبدد سكينتهم ويتبخر ما جمعوه من حصاد سنوات هذا مقدارها ، فى غضون ايام معدودة وبسهولة .

وقول القديس أنطونيوس هنا ينبه الراهب إلى صحوته الداخلية التى يجب دائما ان تكون منتبهة كمصباح مضئ لاينطفى داخل النفس على الدوام ، ليظل

كل شئ داخلها مضيئاً منيراً ، وبالتالى يحافظ الراهب على الثمار التى داخله .. وهذا كله يأتى بالثبات فى البرية والقفر ، وما الثبات فى القفر الا الثبات فى القلاية ؟! ..

+ لذلك من اختبر الاهتمام المقلق لنقاوة إنسانه الداخلى ، لايطلب الاماكن المخصبة الكثيرة الثمر حتي لا تستميل ذهنه بفلاحتها ، ولا تجذبه عن البقاء فى قلايته صامدا ثابتا ، انما تلزمه أن يقوم ببعض الاعمال فى الهواء الطلق ، وهكذا فان افكاره تنسكب كما بغير ضابط لتنتشر فى الهواء وتفقده تركيز ذهنه وصفاء رؤيته لهدفه ..

وهذا الامر لا يمكن ان يتطلع اليه إنسان أو يراعيه الا من يحفظ جسده ونفسه محبوسين على الدوام بين حوائط القلاية . فيكون كصياد سمك ماهر يطلب طعامه بالفن الرسولى ، فانه بشغف يبقى بغير حركة لكي يصطاد حشود الافكار السابحة فى الاعماق كما فى صخر عال .

وبهذا يستطيع أن يقرر بحذاقة وفطنة ما يلزمة أن يصطاد لنفسه بواسطة صنارته المنقذة ، وما يليق أن يهمله من افكار ويتركه بكونه سمكاً رديئا !

الأب ابراهيم

مناظرات يوحنا كاسيان

والراهب فى قلايته هو كملك فى طريق ملوكى ، بل وافضل من المملكة[٣] .. الراهب فيها حر فى كل شئ ، فى افكاره ، فى تصرفاته وجميع اعماله . وفى

---

٣ - بستان الرهبان - ص ١٢٥ - طبعة ١٩٨٦ . وانظر كتاب " سمو الرهبنة " لنيافة الأنبا متاؤوس الأسقف العام - ص ١٥٧ ، ولقد افرد نيافته باباً كاملاً عن " الرهبنة " افضل من المملكة " .

حريته هذه يحفظ افكاره ايضا ثابتة ، منطلقة فقط نحو ربه ، لذا فهو يثابر على الدوام ساهرا ينفذ ما اوضحه حبقوق النبى ، قائلا :

" على مرصدى أقف وعلي الحصن انتصب واراقب لأرى ماذا يقول لى " (حب ٢ : ١) .

والبرية فى هدوئها وتجردها تثير فى القلب السكينة وهدوء الأفكار وتحرض على الثبات ، فلا يبلبل الراهب ويشتت تركيزه الا كثرة التنقل أو الخروج والدخول من قلايته .

+ من المتواتر عن الأنبا ثيودور والأنبا لوقا انهما قضيا خمسين عاما لم يغيرا اثناءها مكان اقامتهما ، الذى كان يحاربان طوال الوقت بتغييره ، فيقولان:

" سنغيره فى الشتاء " ، وحين يحل الشتاء ، يقولان :

" سنغيره فى الصيف " .

وظلا هكذا ثابتين فى موضعهما ، يقولان ولايفعلان ، حتى نهاية حياتهما!!

بلاديوس

التاريخ اللوزياكى

الجلوس فى القلاية :

" ذهب ذات مرة القديس موسى الاسود إلى القديس ايسيذوروس معترفا له انه محارب بقوة لدرجة انه لم يعد يطيق الجلوس بالقلاية ، فرجاه الأب ان يعود إلى قلايته . فلم يقبل قائلا : لا أحتمل ذلك ياأبتى .

فأخذه واصعده إلى السطح وقال له : أنظر إلى المغارب . فتطلع ، فرأى حشداً من الشياطين لاعدد له مضطرباً جدا يحدث شغبا استعداداً للحرب .

ثم قال الأب ايسيذوروس ثانياً : أنظر الى المشارق فتطلع فرأى حشدا من الملائكة القديسين المجدين . فقال الأب ايسيذوروس أنظر ، هؤلاء هم الذين يرسلهم الله لمساعدة القديسين . أما الذين فى الغرب فهم الذين يحاربونهم . فالذين معنا هم اكثر عدداً .

وهكذا شكر الأب موسى الله وتشجع وقفل عائدا إلى قلايته " [٤]

وتلقن القديس موسى الدرس وفهمه وادركه تماما ، ولقنه إلى غيره ، فعندما زاره احد الأخوة فى الإسقيط وطلب منه كلمة ، قال له القول المشهور :

" أذهب واجلس فى قلايتك وهى تعلمك كل شئ " .

والسؤال الآن ، كيف نجلس فى القلاية ؟ !

اختلفت اختبارات الآباء فى كيفية الجلوس فى القلاية والتعلم منها ، وهم بهذا لم يختلفوا فى ان كل منهم أصح عن الاخر ؟ بل اختلفوا فى التسابق التصاعدى متحولين إلى الحياة القدسية داخل القلاية - أى داخل النفس ؟!

- فالقديس أغاثون ربطها بعدم الدالة والغربة ، لا عن العالم فقط ، بل عن الاخوة فى داخل الدير نفسه ايضا ، فلهذا تقول الابوفثجماتا :

[قال الأب بطرس تلميذ الأب لوط : كنت ذات يوم فى قلاية الأب أغاثون . فجاءه أخ يقول : أريد أن اقيم مع الأخوة . قل لى كيف أسكن معهم ؟

قال له الشيخ : إحفظ نفسك فى غربة طوال ايام حياتك ، تماما كما تفعل فى اليوم الأول عندما تدخل لتقيم معهم ، ولا تكن ذا دالة واياهم البتة فقال له القديس مقاريوس الكبير : وماذا تصنع الدالة ؟

اجابه الشيخ : الدالة تشبه ناراً مضطرمة عندما تحل فى مكان يهرب منها الجميع وتتلف ثمار الشجر . فقال له الأب مقاريوس : أبهذا المقدار تكون الدالة مرعبة ؟

قال له الأب أغاثون : ليس هناك هوى اشد هولا من الدالة ، لان الدالة والدة كل الأهواء : لذا ينبغى على العامل (الراهب العمال) الا يقتنى الدالة حتي ولو كان وحده فى القلاية . أعرف أخاً كان يقيم فى قلاية زمانا طويلا ،

4 - Apophthegmata patrum - Abba Moses the black - ch I.

وكان فى القلاية مرقد صغير . قال :

" عندما تركت القلاية ، لم انتبه للمرقد ، ولو لم يلفتنى اليه اخر " .

ان عاملا كهذا محارب ايضا][٥]

والقديس مقاريرس الكبير نفسه كان يعلم بأن حياة القلاية هى الجلوس فيها والبكاء على الخطايا . فقد طلب الأنبا اشعياء من القديس أن يقول له كلمة تعليم ، فلم يقل له سوى هذا : " اهرب من الناس " .

فلما سأله الأنبا اشعياء : " وما هو الهروب من الناس ؟ " . اجابه : " هو جلوس الانسان فى القلاية ، وبكاؤه على خطاياه ، وكراهية الميل البشرى للحديث وأول الفضائل هو ضبط اللسان والبطن على السواء " .

ويعلم القديس برصنوفيوس ، عن الجلوس بالقلاية ، قائلا :

" انما هو الدخول إلى القلب وتفتيشه وضبط الفكر من كل شئ ردئ ، وقطع الهوى وترك تزكية الذات ، والابتعاد عن مرضاة الناس " [٦].

والسؤال يتكرر مرة اخرى ، فقد سأل أخ الأنبا بيمن قائلا :

" كيف ينبغى للراهب أن يجلس فى قلايته ؟ "

فقال له : " أما الظاهر من الجلوس فى القلاية فهو ان تعمل بيدك ، وتأكل مرة واحدة فقط كل يوم ، والهذيذ فى المزامير وقراءة الكتب والتعليم ؟!...

اما غير الظاهر والسرى من الامور فهى ان تلوم نفسك فى كل أمر تصنعه وحينما توجهت ، وفى ساعة صلاتك لاتتوان من جهة أفكارك ، وان اردت ان تقوم من عمل يديك إلى الصلاة . فقم واكمل صلاتك بلا سجس (أى تردد) ؛ وتمام هذا كله ان تسكن مع جماعة صالحة ، وتتباعد عن جماعة السوء " .[٧]

+ جلس راهب من الرهبان فى البرية صامتا فى قلايته ، فضغط عليه الضجر واقلقه الفكر وضيق عليه شديدا حاشا اياه على

---

5 - ABid - Abba Agathun - Ch I.

٦- بستان الرهبان - ص ٤٠٧ - ٤٠٨ - طبعة ١٩٦٨ .

٧- نفس المراجع السابق - ص ٤٠٨

الخروج منها ، فقال فى ذاته :

" يا نفسى لا تضجرى من الجلوس فى القلاية ، وان كنت لاتعلمين شيئا ، فيكفيك هذا – انك لا تحزنين أحدا . ولا أحد يحزنك فأعرفى كم من الشرور خلصك الله ، لان فى سكوتك وصلاتك الى الله تكونين بلاهم يشغلك ولا تتكلمين كلاما باطلا . ولاتسمعين مالا ينفعك ولا تبصرين ما يضرك ، انما قتالك واحد ، وهو قتال القلب (القلب أو العقل – الفكر) . والله قادر أن يبطله، وإذا اقتنيت الأتضاع عرفت ضعفى " .

فعند افتكار الأخ بهذا ، صار له عزاء كثير فى صلاته بقلايته !!

بستان الرهبان

والجلوس بالقلاية غايته الخلاص ، فهو كوسيلة مرتبط به آحيانا ، فقد طلب أخ من الأب " باريكوس " أن يقول كلمة له ، فأجابه :

" اجلس فى قلايتك وان جعت كل ، وان عطشت اشرب ، ومنها لاتخرج ولاتتكلم بكلمة سوء ، وانت تخلص " [٨] .

+ كان أخ مقاتلا (تضغط عليه افكاره بشئ ما) بأن يخرج من ديره ، فذهب واعلم رئيس الدير ، فقال له رئيس الدير : أذهب واجلس فى قلايتك ، وارهن جسدك رهينة لحائط القلاية ، واترك الفكر يهيم حيثما شاء ، وأنت لاتبرح من القلاية قط !!!

بستان الرهبان

---

٨ – نفس المرجع السابق – ص ٤٠٩

ولكى يجلس الراهب فى قلايته ، فهو يحتاج إلى ارشاد معلمة وأب اعترافه ، فالقلاية ايضا حياة تلمذة ، فحياة القلاية تسليم وتسلم .. من الشيوخ إلى المبتدئين .

+ سأل أخ ابا مقاريوس قائلا : علمنى ما معنى الحياة تحت الخضوع للمرشد . فقال له أبا مقاريوس : كما أن الحجر إذا دار فوق القمح فإنه ينزع منه القشور ويصير القمح خبزاً متماسكا ، وهكذا بالنسبة لك يا إبنى :

فالحجر هو أبوك والقمح هو أنت ، فإذا سمعت له فإنه يصلى إلى الله من اجلك لكى ينزع منك كل قشور الشيطان ، ومثل الخبز المتماسك تصير أبنا له !

القديس مقاريوس الكبير

ولكى يحفظ الراهب أفكاره داخل القلاية - لكى ما يثبت ويجلس فيها - كان عليه احيانا ان يواجه حرباً شرسة ضارية ، وطالما أن هناك شيطان ، فلن تنتهي الحروب ، الا ان الراهب يحاول جاهدا توجيه الافكار وتنقيتها .. بالإرادة القوية يرد نفسه سريعا إلى غرضها المستقيم ، لمحورها ومرادها التى تدور فى فلكه .. وهنا لايرد أفكاره فقط بل وكل حياته لاجل ربنا يسوع المسيح .

+ سأل راهب الانبا سرماتا Abba Sermata *قائلا :*

" ماذا أصنع ياأبى ، فانا لا افعل شيئا مما يفعله الرهبان ، بل انى عكس ذلك مهمل متهاون : أكل وأشرب ، وانام ، وتساورنى أفكار كثيرة غير كريمة وذهنى مشوش دائما ، ينتقل بى من فعل إلى فعل ، ومن فكر إلى فكر . ماذا أصنع أذن ، فإنى مضطرب ، وقد هانت نفسى وضعفت ؟ ..

فاجابه الأنبا سرماتا :

" اجلس فى قلايتك ، وأعمل فقط ما تستطيع عمله ، ولاتزعج نفسك .. أريد منك الا تسرف الان فى العمل ، فالقديس أبنا أنطونيوس لم يفعل كثيرا وهو فى الجبل ، واعتقد انك بهدوئك فى قلايتك من اجل اسم الرب ، ستوجد أنت ايضا فى نفس المكان الذى وجد فيه الأنبا أنطونيوس !

بلاديوس

التاريخ اللوزياكى

ولكى يحتفظ الراهب بهدوئه فى قلايته ، نسمع عن الراهب الذى لم يدخل قلايته بل اخذ يدور حولها ، وعندما سألوه عن السبب قال : انه سمع مناقشة بين الاخوة ، ولايريد ان يدخل بها قلايته .... إذ ان اذنيه كانتا مملؤة بالمناقشة ، وهكذا طاف حول القلاية قبل ان يدخلها لكى ينظفها ويدخلها وفكره هادى [٩].

ان الأفكار عموماً ، لن تترك الراهب طالما انه على الأرض ، ولكن بالافراز والتمييز يستطيع ان يتحكم فيها ويصير بها نحو السماء وهو هنا على الأرض.

+ اخذوا عن شيخ انه كان جالسا فى قلايته ، فأتاه احد الاخوة فى الليل ، واراد الدخول اليه ، فلما بلغ الباب سمع صوته من داخل وهو يقول :

يكفى ، يكفى ، حتى متى ؟ .. اذهبوا الان من قدامى .

ثم سمعه يقول : تعال ، تعال ، ياصديقى .

فلما دخل اليه ، لم يجد احدا ، فقال له : لمن كنت تتكم ياأبى؟

9 - Apophthegmata Patrum - ch. 25 - John the short (colobes).

قال له الشيخ : لحسياتى الردئية أطرد ، وللصالحات كنت ادعو

ببستان الرهبان

اخيرا ، قد يكون الجلوس فى القلاية ، خيراً من الفضيلة الكاذبة :

فالقديس مقاريوس الكبير يرد على سؤال احد الأخوة ، والذى يرغب فى ان يزور ويفتقد المرضى تاركا الجلوس فى القلاية ، فقال له :

" ان كلمة النبوة لا تسقط أبدا ، فانه يقول : " جيد للرجل ان يحمل النير منذ صباة ويجلس وحده صامتا .. وأما قول ربنا يسوع المسيح : " كنت مريضا فزرتمونى " فقد قاله لعامة الناس .

وانى اقول لك ياأخى أن الجلوس فى القلاية أفضل من افتقاد المرضى لانه يأتى زمان يضحك فيه جميع الناس على سكان القلالى ، فقد تم كلام البار أنطونيوس إذ قال :

" يجئ زمان يجن فيه جميع الناس . وإذا ابصروا واحداً لم يجن يذيعون عنه انه مجنون لانه لايشبههم " (١٠)

+ قدم أخ إلى الأب ثيؤنوروس ليتعلم منه الخياطة وقد احضر معه القماش . أما الشيخ فقال له : إذهب وعد إلى هنا فى الصباح . وعندما جاء نهض الأب وبلل القماش وأعد له كل شئ وقال : اعمل هكذا وهكذا . ثم تركه إلى قلايته وجلس هناك . ولما حان وقت الغذاء أعد له طعاما ثم اطلقه . فعاد صبيحة اليوم التالى ، فقال له

---

١٠ - فلنلاحظ ان هذا الراهب كان مقاتلا ان يزور المرضى بالعالم لا المرضى رهبان ديره ، فزيارة المرضى من الرهبان واجب اخر شبه الزامى ، فهو ان لم يكن زيارة للسيد المسيح (كنت مريضا فزرتمونى) ، فهو على الأقل علامة الحب المتبادل ..
انظر بستان الرهبان - ص ٤١٣ - طبعة ١٩٦٨ .

الشيخ : خذ اغراضك وأذهب لانك أتيت إلى هنا لتجربنى وتشغلنى . ولم يتركه بعد ذلك فى القلاية !!!

الأبوفثجماتا – أقوال الأباء الشيوخ

القلاية المادية :

الراهب سر تعلقه بالقلاية ليس فى معناها المادى بل الروحى ، فالآباء القدامى لم يهتموا بزخرفة القلاية كثيرا ، كما لم يهتموا الا ببساطة القلاية ونظافتها وعدم الكلفة بها ، فهذا يجمع فكر الراهب ، لان كثرة المقتنيات تبدد التركيز وتبعث على التشتت .

ليست القلاية جدراناً ، لكنها حياة ...وحياة مستترة مع المسيح . وهي ليست موضوع راحة واسترخاء ، ولهذا فهى اما حياة سمائية أو حياة ارضية .. القلاية مكان حضور الرهبان لانفسهم ومن خلال انفسهم حضورهم للّه . وطالما أن الله حاضر فى القلاية فلهذا يمتلئ الرهبان دائما بشعور احترام وورع نحوها (وبخاصة المحبسة – مكان الصلاة) .

وضرب الأباء أروع مثل فى نكران الذات وحب الأخرين وعدم التعلق بالقلاية المادية ، فكثيرا ما نسمع عن الذى يترك قلايته لاخر ، حتى بعد ان يعدها ويجهزها للأستعمال . ونسمع ايضا انه عندما كان يأتى راغب رهبنة جديد ، كان أول شئ يصنعه الأباء هو ان يتركوا أمام قلايته كثيرا من المستلزمات الضرورية له ، والتى كانت اساسية عندهم .

هذه العادة الجميلة مُسلمة من قرون الرهبنة الاولى ، والتي بدورها جاءت تنفيذا لتعاليم وأقوال الإنجيل المقدس :

" كان لجمهور الذين أمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن احد يقول ان شيئا من امواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركاً (أع ٤ :٣٢) .

+ سطا بعض اللصوص على قلاية احد شيوخ البرية، وكان بداخلها ، فقالوا له : " لقد حضرنا لنأخذ جميع الاشياء التي بقلايتك !

فقال لهم الشيخ : " خذوا يأبنائى كل ما تشتهون " . فأخذوا كل شئ وجدوه بالقلاية ثم رحلوا .

وبعد انصرافهم وجد الشيخ كيسا معلقا ، نسى اللصوص ان يأخذوه ، فحمله وراح يعدو خلفهم ، ويناديهم قائلا :

" ياأولادى ، لقد نسيتم هذا الكيس بقلايتكم فخذوه " ..

وحينما رأى اللصوص هذا الصنيع تعجبوا من طيبة الشيخ ، وردوا اليه كل ما اخذوه من قلايته ، وراحوا يترنمون بصلاحه قائلين : " حقا ان هذا رجل الله" !

بلاديوس

التاريخ اللوزياكى

مفهوم القلاية فى حياة الشركة :

قد تختلف القلاية بحياة الشركة عن حياة الوحدة ، الا ان الثقل ليس هنا ؟.. بل بما يخرج به الراهب من منفعه وتقدم ونمو روحي سواء فى هذه او تلك .

وقلاية الشركة هي للمبتدئين غالباً ، وان كان الامر تغير فى القرون الاخيرة بعد ما انحصرت القلالى داخل الأسوار ، واصبحت تجمع كافة الأنظمة الرهبانية . ولقد تميزت قلاية دير الشركة بعدة صفات هامة جدا ... ففيها يتعلم الراهب اصول الرهبنة ويتلقى فيها تداريبه الأولى ، وفيها يمارس نسكياته الشخصية .. وفيها يجدد الراهب الرغبة فى الجهاد وسط الأخوة ، ويعد نفسه لتحمل عبء المجمع سواء فى العمل أو الأحتكاكات .. الخ .. وبهذا يستعد الراهب لحياة الوحدة بعد سنوات طالت أو قصرت .

وليس بالضرورى ان يخرج الراهب للوحدة خارج أسوار الدير ، فالوحدة للراهب ، حتى فى مجمع الشركة مهمة جدا . فآلام المجمع ، والجهاد المضنى ،

والأتعاب والأختبارات التى يمر بها المبتدئ لاتكمل الا بالإنفراد فى القلاية ، حيث يصلى ويتأمل ، ويراجع نفسه وينمو ، ليخرج اكثر صلابة فى وحدة وتفاعل وشركة محبة لاحد لها مع الأخرين .

ليست حياة الشركة اوفى من حياة الوحدة بل انها قد تكون محطة على الطريق إلى السماء ، وقد تكون احيانا المحطة الوحيدة ، لكنها ايضا توصل إلى الميناء .. ولعلنا نجد ان بعض رهبان قلالى الشركة قد ادركوا نفس القامة الروحية العالية التى لراهب الوحدة .

+ حاول ان تهئ ذاتك بطريقة تحد من تهافتك على الخروج لملاقاة الأخرين أو الأبتعاد عن الدير لاستقبال الضيوف . فطالما بقيت فى داخلنا الرغبة فى الاخذ والعطاء فلن نتوقع اى سلام .

وعبارة " الاخذ والعطاء " تنطوى على جميع الوان الأتصال بالأخرين . وهذه الدرجة من الوحدة (داخل الدير) لايمكن ان نبلغها فجاة بل ينبغى أن نرسى قواعدها من الأن !

ثيؤفان الناسك

وقلاية دير الشركة هى قلاية طاعة ، واذا عاش الراهب فى طاعة لمرشده، استطاع ان يصل وبسهولة بقلبه الى السماء عبر الاسوار . ولاشك ان قلاية الشركة تحمل خاصية رائعة فالراهب فيها يستطيع وبسرعة ان يكشف اخطاءه ومعيار نسكه وصلواته وسجداته وقراءاته وكيفية تمضية وقته ، إلى أب اعترافه .. وهنا يستطيع أب الاعتراف ان يوجه تلميذه إلى الطريق السليم .

+ مطيع بسيط فى الدير أفضل من معتزل لاه فى البرية !!

القديس يوحنا الدرجى

وهناك علاقة متداخلة بين حياة الشركة وحياة القلاية ، فيضبط حياة القلاية هنا احيانا العلاقة بين الراهب واخوته . فان سار الراهب بافراز وسط اخوته دخل قلايته سعيدا واتم اعماله وقوانينه ، وبهذا ايضا يحفظ سلام نفسه ، والعكس بالطبع صحيح .

+ قال شيخ : إن الأخ الذى اختبر حلاوة السكون الذى يستمتع به داخل قلايته ، لا يفر من لقاء جاره بسبب احتقاره له ، إنما بسبب الثمار التى يقطفها من الصمت !!!

بلاديوس

التاريخ اللوزياكى

اخيرا يؤكد القديس ثيؤفان الناسك [١١] : انه يمكن للراهب ان يعيش فى مجمع الدير وكأنه فى قلاية وحده ، فيقول :

[انك تريد الوحدة ، وهذا سيكون ممكنا عندما يحين الوقت المناسب . ولكن ينبغى اولا ان تقوم بالاستعداد اللازم لها . وبوجه عام يبدو ان الخلوة الكاملة لن تكون ملائمة لك ويكفيك الاختلاء بين وقت اخر دون التطلع إلى ما هو اكثر ، حتى إذا اشتعلت الشرارة الصغيرة فى القلب وبدأ انتباهك ينحصر داخل القلب فإنك تكون بالفعل قد اقتنيت الاختلاء الداخلى الحقيقى .

اما الاختلاء الخارجى فإنه وان كان لازما الا انك تستطيع ان تقتنيه وذلك بأن تلجأ إلى الأختلاء من وقت لاخر] [١٢] .

+ قد تقول انك تشتاق إلى الوحدة ، ولكن لم يحن الوقت بعد لهذا الامر ، وانت لست فى حاجة إلى ذلك .. ان كان الامر هكذا فيكفى ان تعيش بمفردك وزوارك قليلون وزياراتهم متباعدة ، أما

---

١١ - ولد هذا الأب فى Chernausk بقرب Orlov بوسط روسيا . وكان والده كاهنا ، امضى اربعة سنوات فى جامعة لاهوتية بكييف (١٨٣٧ - ١٨٤١ م) وفى هذه المدينة عرف حياة الرهبنة ، وبعد التخرج سيم كاهنا بعد ان ترهبن . وخدم بفلسطين ٧ سنوات (١٨٤٧ - ١٨٥٤) ثم عاد إلى روسيا سنة ١٨٥٩ م بعد ان ترحل فى الشرق الأوسط كله .. ومن ١٨٧٢ م اعتزل بدير متواضع فى حجرتين بسيطتين ولم يخرج الا لمقابلة أب اعترافه أو رئيس الدير .. ولهذا اختبر حياة الوحدة فى مجمع الشركة وتكلم عنها - انظر كتاب مخدع الصلاة - ص ٦ - ٩ - تعريب القمص متياس فريد.

١٢- كتاب حرب الشهوات - ص ١٠٢ - تعريب القمص متياس فريد - اصدار كنيسة السيدة العذراء بالفجالة .

ذهابك إلى الكنيسة فهو لايؤثر على وحدتك بل على العكس يدعمها ويساعدك على قضاء وقتك فى القلاية فى الصلاة .

قد تستطيع من حين لاخر أن تعتكف فى البدء لمدة يوم أو اثنين بغرض الأختلاء بالله بعض الوقت . ومادمت تفعل هذا فلست فى حاجة إلى التخطيط لتكون متوحدا .

انه يعنى دخول العقل إلى القلب ووقوفه فى مهابة أمام الله مع الأحساس بالرغبة فى البقاء داخل القلب دون انشغال بأمور اخرى .

اسع وراء هذا النوع من الوحدة ولاتنشغل بالفرع الاخر ، فقد تحبس نفسك فى قلاية مغلقة بينما يطيش فكرك حول العالم أو تسمح للعالم كله ان يحتل قلايتك ؟ !

ثيؤفان الناسك

القلاية فى حياة الوحدة

[لن نستطيع بالطبع ان نتكلم عن حياة الوحدة (أو حتى الشركة) وحروبها بأسهاب فهذا سيحتاج إلى مجلد كامل ، ولكننا سنحاول التركيز على بعض النقاط والتى قد تفيد راهبى الشركةأو الوحدة الحاليين .]

قلاية الوحدة فى الجبل والبرية الداخلية هى قلاية الساعين نحو الكمال ، المتقدمين روحيا . واننا لنجد أحيانا ان سكان هذه القلالى يصلون إلى درجات عليا فى الروحيات قد تصل إلى السياحة (السكن تقريبا بلأ مأوى - أى الوحدة المطلقة عن كل انسان).

ويسمى المتوحد احيانا بالهادئ ، أو الناسك أو الحبيس ، ويقول القديس يوحنا الدرجى واصفاً قلاية الهادئ :

" ان قلاية الهادى سور لجسده تحوى داخلها بيتا للمعرفة " .

اذن فالمتوحد لا يصير انسانا راهبا ترك دير الشركة ومن قبله العالم وحسب، بل أنه يمتد ويمتد ... أو على الاقل لايقف مكانه . لقد مر المتوحد بأختبارات المجمع ، واعد نفسه للوحدة ، ففى الدير تكون الحياة شاقة ، ولكنها لن تكون اشق من حياة الوحدة ، فلهذا يجب ان يتأسس المتوحدون فى دير الشركة - أى فى الدرجة التى تسبق الوحدة ، وقبل ان يعبروا إلى البرية الداخلية- أى إلى أعماق النفس .

وحياة الوحدة اساسها الجلوس فى القلاية ، وملازمتها ، وحفظ السكون ، هذه هى الأمور الأساسية الواجبة للمتوحدين . وماراسحق السريانى (مؤلف اعظم كتاب عن الوحدة والنسك) ، ينبه ويؤكد على وجوب الحبس فى القلاية والصبر على احزانها وحروبها ، فلهذا حث على الاتى :

- اغصب نفسك ان تثبت فى قلايتك ..
- كل من هو محب لله يحب الحبس والثبات فى القلاية ..
- احب الوحدة ولو انك عاجز عن جميع حقوقها (تداريبها) ..
- الطرق المؤدية إلى النور ان يلزم الانسان موضعا واحدا ..

+ المقيد فى السجن يرتاع خوفا من القاضى ، والمعتزل فى قلايته يتولد فيه خوف الرب . ولايخيف الأول مجلس القضاء مثلما يخيف الثانى كرسى الديان !

القديس يوحنا الدرجى

ويؤكد الشيخ الروحاني انه يجب ان تكون قلاية المتوحد من داخلها كخارجها .. يفوح منها رائحة الصلوات الذكية والافكار النقية .. يمارس فيها تداريب الحياة الروحية بمنعطفاتها وابعادها ، ويعيش كمتوحد حقيقى ، متأمل فى الله ، وفى انقطاع تام عن كل شئ .. يتجه نحو الله الذى عنده كل شئ .

+ قدس منامك برفرفه الروح عليك ، فيفوح عرق أعضائك مثل

الطيوب من موضع مسكنك بحلول الاقدس من الكل . أخى ، هذا هو حافظ الطهارة وحافظ محبيه !

طوبى للمتوحد الذى ، حتى فى منامه ، يعرف القوات المقدسة ويميز التى هى مضادة ! الويل للمتوحد الذى حيطان قلايته زفرة . فإنه لاجئ لايبنى .

الويل للراهب الذى لاتفوح الخرق التى على جسمه بالطيب ، إذ ان اللباس الذى يرتديه يكون غريبا !

طوباك ايها المتوحد الذى يقبل حيطان قلايته للشذى اللذيذ الذى يفوح منها ! يقع على وجهه ، يستنشقة ، ويركع على ركبته ، فيجتذبه . يقف على رجليه ، فيحترق فى اللهيب . يعانق الصليب ويقبله ، فيستنير بحسن العلى . يثب قلبه ابتهاجا ، فيصرخ فرحا!!!

الشيخ الروحانى

وراهب الوحدة فى قلايته يجابه خمس حروب هى الكبرياء والعجب والكسل والضجر ومحبة المال .. وبالهدوء والسكينة . إلى جانب الأفراز ، يستطيع المتوحد ، ان يدرك ويقاوم هذه الحروب وتقلباتها ، ومن اين تبدأ ، وإلى اين تنتهى ...

+ استولى على التوانى مرة وانا جالس فى قلايتى ، فهممت بتركها ، فزارنى اناس وطفقوا يطوبوننى كثيرا على إقامتي فى الهدوء ، فطرد الغرور حالا فكر التوانى . فعجبت كيف ان هذا الشيطان المثلث الحسكات (المواهب المتعددة) يناهض الأرواح كلها؟!

القديس يوحنا الدرجى

عموما وضع الآباء علاجاً لهذه الحروب ، وبعدما وصلوا إلى اعظم آيات الحنكة والخبرة ، وكتاباتهم واقوالهم لهى دليل بالغ على انهم ذاقوا وعانوا وعاشوا هذه الحروب وتمرسوا على تفاديها وعلاجها ايضا .

اخيرا ! امتد الآباء إلى شفاء النفس بعلاج لايخيب ابدا آلا وهو .. الحب؟! فبدون الحب يقيم الانسان فى قلبه منزلا غير جميل لايليق بالروح القدس وهذا لانه بلا بصيره ، فلا يكون له شرف استقبال القدوس الذى يقطن بالقلب ، إنما حتما سيسقط وفى الحال ينهدم البناء فى بؤس .

+ هذا الحب ، الذى بدونه لن يقوم التركيب الخاص بالبناء الروحى الذى مهندسه القديس بولس الرسول مهما كانت المهارة ممتازة ، ولا تستطيع أن تمتلك منزلا جميلا كالذى اشتاق اليه الطوباوى داود فى قلبه لكى ينقيه للرب قائلا :

(" يارب احببت محل بيتك وموضع سكن مجدك)
(مز ٢١ : ٨) !!

الاب ابراهيم

مناظرات يوحنا كاسيان

+ وذلك كما لو كان إنسانا يرغب فى بناء قبو عال على شكل قوس دائرى يلزمه أن يرسم بدقة خطا دائريا حول المركز .. لانه لو حاول أن ينفذ هذا العمل من غير ان يحدد مركز الدائرة فانه مهما بلغت دقته ومهارته فى فنه يستحيل عليه ان يحفظ محيط الدائرة بغير ان يخطئ ادنى خطأ ....

هكذا أيضا أذهاننا ان لم يدور العمل فيها حول حب الرب وحده (من خلال حب الجماعة) كمركز ثابت لها غير متحرك - فان

اعمالنا وتقاليدنا - بسبب الظروف - تستهين بالاستدارة السامية!!!

الأب ابراهيم

مناظرات يوحنا كاسيان

وهكذا ، بالحب .. تصير القلاية علامة من علامات الطريق الرهبانى .. نحو عشرة دائمة مع السيد المسيح الذى له كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد أمين ؟ !

أخيراً ، القلاية عند الراهب هى كل شئ ، هى جزء منه .. هى نبعه ، هى الصبر ، هى مكان السقوط والقيام ، هى الاختبار الحى اليافع الناضج للراهب ، فيها يتقدم الراهب وينمو . خارجها يربط الشياطين وداخلها تزوره الملائكة. فيها تنسكب الدموع بغزارة ، يصعد الانين ، يمتزج الفرح بالسلام ، والصمت بالهدوء الإلهى . فيها يغمر الراهب شعور خاص مع الله .. إنما هو .. هو الحب !

مطبعة دير البرموس